محاضرات في الأدب السعودي

تأليف

أ. د. حسن محمد النعمي

الطبعة الخامسة
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات في الأدب السعودي

موجه لطلاب البكالوريوس في قسم اللغة العربية

بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز

الانتظام والانتساب

helnemi@gmail.cim

المحتويات

مقدمة الطبعة الخامسة ٩
مقدمة الطبعة الرابعة ١٠
مقدمة الطبعة الثالثة ١١
مقدمة الطبعة الثانية ١٢
مقدمة ١٣

مصادر دراسة الأدب السعودي ١٥
- المصادر التاريخية ١٥
- المصادر الإبداعية ١٥
- المصادر النقدية ١٦

بدايات النهضة الأدبية ١٧
- الإرهاصات الأولى ١٩
- بداية واقعية ١٩

عوامل نهضة الأدب ٢١
- الاستقرار السياسي ٢٣
- الصحافة ٢٤
- التعليم ٢٧
- البعثات ٢٨
- التفاعل الثقافي مع الحركات الأدبية في الأدب العربي الحديث ٢٨

مسيرة الأجيال الأدبية ٣١
- الجيل الأول ٣٣
- الإصدارات الأولى في الأدب السعودي ٣٥
- الجيل الثاني ٤٢

- الجيل الثالث ٥٠
- الجيل الرابع ٥٢
- الجيل الخامس ٥٦
الظواهر الشعرية (النشأة والتطور) ٥٩
- الشعر التقليدي ٦١
- الشعر المرسل ٦١
- الشعر الحر ٦١
- الشعر المنثور ٦٤
- قصيدة النثر ٦٤
التيارات الأدبية : ٦٧
- المحافظون ٦٩
- الرومانسيون ٧٠
- المجددون ٧٢
الظواهر السردية (النشأة والتطور) ٧٥
- القصة القصيرة: ٧٧
- المرحلة الأولى : مرحلة النشأة في كتابة القصة القصيرة ٧٧
- المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ٧٨
- المرحلة الثالثة : مرحلة الطفرة القصصية ٧٩
- المرحلة الرابعة: من منتصف التسعينات وحتى ٢٠١٠م ٨٠
- الرواية: ٨٢
- مرحلة النشأة ٨٣
- مرحلة التأسيس ٨٣
- مرحلة الانطلاق ٨٥
- مرحلة التحولات الكبرى ٨٦
- الرواية النسائية ٨٨
- مرحلة الرؤية (رؤية ٢٠٣٠) ٨٩
- الهوامش والمراجع ٩١
مختارات شعرية ٩٣
مختارات قصصية ١٣٧

مقدمة الطبعة الخامسة

شجع استقبال كتاب محاضرات في الأدب السعودي من قبل أستاذات وأساتذة الأدب السعودي في الجامعات السعودية، مراجعة مادة الكتاب ومحاولة الإضافة ما أمكن لجعل الكتاب مواكباً ومفيداً للطالبات والطلاب. وفي هذه النسخة أضفت مرحلة خامسة من مراحل تقسيم تتطور الرواية السعودية، وهي مرحلة الرؤية (رؤية ٢٠٣٠) التي أثرت في جوانب كثيرة من بنية المجتمع السعودي. وبالتأكيد فإن البدء في محاولة رصد هذه التحولات ضرورة معرفية لمجاراة هذه التغيرات الضخمة. ورغم أن اشتغالات الآداب والفنون في استيعاب المتغيرات أبطأ إلا أن التنبيه على هذه التغيرات والبدء في محاولة الرصد مهمة معرفية قبل كل شيء، ولعل هذه الإشارة تنبه للمشتغلين بالأدب السعودي إلى مزيد من تتبع آثار تحولات الرؤية وتأثيراتها على الثقافة والأدب في بلادنا.

حسن النعمي

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

مقدمة الطبعة الثالثة

بعد نفاد الطبعة الثانية من هذا الكتاب وبعد تزايد الطلب من قبل معظم أقسام اللغة العربية في الجامعات السعودية، تجيء هذه الطبعة تلبية للحاجة القائمة للكتاب. وقد عكست ملاحظات العديد من الزملاء وتصويباتهم دافعاً لاستثمارها عند إخراج هذه الطبعة. ولعل أبرز ما جعل هذا الكتاب يحظى بالانتشار هو طبيعته المدرسية التي تناسب طلاب الأدب السعودي في أقسام اللغة العربية، فقد حظى الكتاب بتقسيمات مرنة، وتحليلات مناسبة، ونصوص- شعرية وقصصية- تعكس مدى تطور الأدب السعودي.

مقدمة الطبعة الثانية

تحتوي هذه الطبعة على إضافات وتنقيحات مهمة عكستها الملاحظات التي تم رصدها في الطبعة الأولى. والهدف من إصدار هذه الطبعة إلى جانب ما احتوته من إضافات هو نفاد الطبعة الأولى التي وجدت صدى في العديد من الجامعات السعودية مثل جامعة جازان وجامعة الطائف وجامعة الإمام محمد بن سعود، حيث كان الكتاب ملبياً لاحتياجات الطلاب عطفاً على شموليته ومرونته في تقديم المعلومة وسهولة عرضها. لم يتم تغيير هيكل الكتاب إنما جرى استدراك بعض النواقص، ومراعاة الظروف المتجددة مثل

مقدمة:

يعكس عنوان هذا الكتاب محتواه، فهو كتاب أعد خصيصاً ليلبي حاجة طلاب مادة الأدب السعودي في قسم اللغة العربية لدرجة البكالوريوس. ولذلك فإن هذا الكتاب أكاديمي يخضع لمفردات المادة المعدة من قبل قسم اللغة العربية. وهي مفردات تراعي الشمولية والبساطة في تقديمها. فليس المطلوب التوقف عند كل جزئية في الأدب السعودي، وليس المطلوب تقديم كل أديب، إنما الغاية بناء تصور متماسك يقدم الأدب السعودي وفق منهج مدرسي يبين أبرز الظواهر والشخصيات الأدبية الأكثر تأثيراً في مسيرة الأدب السعودي.

ولعل أول القضايا أهمية هي تحديد بدايات الأدب في المملكة العربية السعودية والعوامل التي ساعدت على نهوضه وتطوره. وهي عوامل بعضها ثقافي وبعضها اجتماعي وسياسي، غير أنها مجتمعة كرست ظاهرة الأدب وعززت وجوده. كما أن تفاعل الأدب السعودي مع الحركات الأدبية في الأدب العربي الحديث شكل مفصلاً مؤثراً في تطور الأدب السعودي، وأخرجه من عزلته، وأدخله في حركة التحولات الأدبية بشكل فاعل. فتطورت تجارب الأدب، وأكمل صورة الأدب العربي، ليس في الأشكال، بل في التجارب الموضوعية، سواء في تقديم الإنسان، أو في بناء تصور عن طبيعة المكان الاجتماعية والحضارية.

وتحتل دراسة الظواهر الشعرية والسردية حيزاً بيناً في تقديم هذا الكتاب. فبعد التفصيل في مسيرة الأجيال الأدبية وتوزعها على خارطة الزمن الأدبي، يبقى أن نحدد طبيعة الظواهر التي شغلت الأدباء في المملكة. وليس غريباً، مرة أخرى، أن نجد الظواهر الأدبية نفسها، التي شاعت في الأدب العربي، في صميم الأدب السعودي. فالشعر بكل أشكاله التقليدية والحديثة قدمه شعراء المملكة بتنويعات مماثلة للشعراء العرب، غير أن الفارق يبقى في أسبقية الأدباء العرب سواء في مصر أو العراق أو المهاجر الأمريكية. وهي أسبقية زمنية وفنية بفعل أسبقية التحولات السياسية والثقافية التي سبقت تجربة التحولات في الأدب السعودي.

أما تجربة الأدب السعودي مع التجارب السردية فقد بدأت متواضعة، محدودة الحضور، لكنها ما لبثت منذ أوائل الثمانينيات الميلادية أن أخذت في الحضور بشكل جلي. فظهرت القصة القصيرة مسيطرة في حقبة الثمانينات، متطورة على مستوى الشكل الفني وعميقة في تماسها مع الواقع، بينما أخذت الرواية في الحضور بشكل فاعل منذ منتصف التسعينيات مع موجة الروايات الأولى التي هزت ركود الطرح الروائي، فظهرت روايات القصيبي وتركي الحمد وعبده خال استهلالاً مؤثراً للرواية السعودية التي احتلت المشهد الأدبي منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا. وفي خضم هذا الحضور الكثيف للرواية قدمت المرأة أكثر الروايات مقروئية ولفتاً للانتباه. لقد وجدت الرواية في التحولات العميقة التي أصابت المجتمع السعودي مادة دسمة لم تتوان في اقتناصها للتعبير عن تأثيراتها في بنية المجتمع.

مصادر دراسة الأدب السعودي

أولاً: المصادر التاريخية:

قبل الدخول في درس الأدب السعودي يتوجب الاطلاع على المصادر التاريخية حول ظروف تكوين المملكة، وبدء مسيرة البناء الاقتصادي والاجتماعي وما رافق هذه العملية من تحولات اجتماعية، بالإضافة إلى الانعكاسات الثقافية والفكرية على المجتمع.

بدراسة الخلفية التاريخية للأدب السعودي يتحدد الإطار الذي يدور في فلكه الأدب السعودي، فهو أدب مرتبط بكيان سياسي محدد بدأ على أكثر الأقوال موضوعية مع بدء الثورة العربية في الحجاز في عام ١٩١٦، ومع ظهور جريدة القبلة، وتتصاعد وتيرة البداية المليئة بالإرهاصات خلال هذه الفترة، حتى دخول الملك عبد العزيز الحجاز في عام ١٩٢٤م، حيث تبدأ مسيرة الحراك الثقافي نتيجة لاستعداد الأدباء في الحجاز أكثر من غيرهم في المناطق الأخرى لبدء مسيرة الإصلاح والتنوير الثقافي.

ثانياً: المصادر الإبداعية

يتوجب على دارس الأدب السعودي الاطلاع مباشرة، وليس عبر وسيط، على نصوص مختلفة من شعر وقصة ورواية، ونقصد بالمصادر الإبداعية:

أ - الدواوين الشعرية والمختارات الشعرية والنصوص الشعرية المتفرقة.

ب - المصادر القصصية:

- الرواية
- القصة القصيرة
- السيرة الذاتية
- المسرحية

ج - المصادر النثرية

- المقالة بأنواعها المختلفة.

ثالثاً: المصادر النقدية

تكمن أهمية دراسة المصادر النقدية لمسيرة الأدب السعودي في كونها تعين على تحديد سمات هذا الأدب وتحديد ملاح التطور الذي أصابه، كما أن أهمية دراستها توفر وعياً أكبر بالتلازم بين التنمية الاجتماعية وبين طبيعة حضور هذا الأدب في سياق المجتمع، معبراً وطامحاً إلى التجاوز والانطلاق.

ومن أبرز الكتب النقدية والدراسات الأدبية التي يحسن الاطلاع عليها، كتاب (وحي الصحراء) لمحمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله بلخير، وكتاب (التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب) لعبدالله عبدالجبار، وكتاب (الشعراء الثلاثة) لعبد السلام الساسي، وكتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) لعبد السلام الساسي، وكتاب (شعراء نجد المعاصرون) لعبد الله إدريس، وكتاب (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) للدكتور بكري شيخ أمين، وكتاب (الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي) للدكتور عمر الطيب الساسي، وكتاب الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية) لعبد الله الحامد، وكتاب (فن القصة في المملكة العربية السعودية) لمنصور الحازمي، وكتاب (القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية) لسحمي الهاجري، وكتاب (في الأدب العربي السعودي للدكتور محمد صالح الشنطي)، بالإضافة إلى العديد من المصادر الأخرى التي تثري خلفية المشهد الأدبي في المملكة، وتوجه إلى الكثير من القضايا.

بدايات النهضة الأدبية

بدايات النهضة الأدبية في المملكة

الإرهاصات الأولى:

يُرجع بعض الباحثين بداية الأدب السعودي إلى بداية مبكرة، تتزامن مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأسيس الدولة السعودية الأولى. وتستمر هذه الفترة إلى حتى بداية الدور الثالث للدولة السعودية، حيث يأخذ الأدب مساراً من التطور والتجديد. لقد جاءت أهمية هذه البداية المبكرة من الزخم الأدبي الذي نشأ مناصراً للدعوة، محافظاً على التقاليد الأدبية، غير متصلٍ بأي حراك أدبي خارج منطقته. ولعل من أبرز الشعراء الذي برزوا في تلك الفترة:

- أحمد بن مشرف
- إبراهيم الأسكوبي
- محمد بن بليهيد
- محمد بن عثيمين

وقد غلب على شعر هؤلاء الشعراء نزعة المحافظة، بما فيها من تقاليد شعرية راسخة، مثل المديح، والشعر التعليمي، بالإضافة إلى مناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخاصة شعراء الدعوة من أمثال أحمد بن مشرف.

بداية واقعية:

وإذا كانت هذه الإرهاصات قد حافظت على الشعلة الأدبية متقدة، فإنها بقيت محدودة التأثير في جيل الرواد الذي سيأخذ على عاتقه النهوض بالأدب متزامناً مع بدء الدولة السعودية الثالثة.

ويطمئن كثير من الباحثين إلى ربط نشأة الأدب في المملكة العربية السعودية، مع ظهور تحولات عدة أثرت في نشأة الأدب السعودي[1]، يمكن إيجازها في ما يلي:

- كان لبدء الثورة العربية في الحجاز التي انطلقت في عام ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦م

بالغ الأثر في إيقاظ الشعور القومي في نفوس العرب، مما استدعت أدباً قدمه شعراء وكتاب عرب وفدوا إلى الحجاز مناصرة للشريف حسين في ثورته.

- لأسباب مختلفة انتهت الثورة وانتهى حكم الشريف حسين للحجاز في عام ١٩٢٤م، وضم الملك عبد العزيز الحجاز إلى بقية الأقاليم تحت حكمه.

في الفترة من ١٩١٦م إلى ١٩٢٤ شهد الحجاز ثورة أدبية إلى جانب الثورة السياسية استفاد منها ناشئة الأدب في الحجاز.

- وقد مثلت جريدة القبلة في عهد الشريف حسين منبراً للأدباء، حيث قدموا أدبهم في مناصرة الثورة العربية [٢].

- شكل ضم الملك عبد العزيز الحجاز نقطة تحول في بداية الأدب في المملكة، حيث انطلق الأدباء الشبان في التعبير عن رغبتهم في بناء الدولة الحديثة، ونشر التعليم، ومنح المرأة حقوقها.

- في هذه المرحلة، بداية العهد السعودي، ظهرت جريدة أم القرى التي لعبت دوراً أدبياً مرموقاً وملأت الفراغ الذي تركته جريدة القبلة التي توقفت مع توقف الثورة العربية.

- ظهر الجيل الأول أو جيل الرواد الذي بدأ مشروع التحديث الأدبي والثقافي في الحجاز أولاً، حيث قاموا على التطوير والتجديد والتعريف بمظاهر الأدب الجديد.

عوامـــل نهضـــــة الأدب

عوامل نهضة الأدب

- الاستقرار السياسي
- الصحافة
- التعليم
- البعثات
- التفاعل الثقافي مع الحركات الأدبية في الأدب العربي الحديث

أولاً: الاستقرار السياسي

لا تنمو الثقافات والآداب بشكل خلاق إلا في جو من الاستقرار السياسي الذي يوفر الطمأنينة واستشراف المستقبل بشكل يحمل التفاؤل ويوجه إلى البحث عما ينبغي أن يكون في مستقبل المجتمع .

لقد مثلت وحدة البلاد السعودية نقطة انطلاق ليس للأدب والثقافة فحسب، بل لمفهوم جديد يتبلور حوله المجتمع وهو الهوية السياسية التي تقدم الإنسان والمجتمع للعالم. من هنا انشغل الأدب بتعزيز هذه الهوية والاستفادة من مناخات الاستقرار الذي وفره الاستقرار السياسي. إن ظهور مناخات إيجابية، سياسية واقتصادية وتعليمية وغيرها ساعدت الأدباء على تنمية اسهاماتهم الأدبية والانصهار في مركزية فكرية وثقافية، مع عدم التخلي عن خصوصياتهم الثقافية والأدبية. ذلك أن هذا الغطاء السياسي يساعد الدارسين على ربط الأدب بالسياقات السياسية والاجتماعية وقدرة التحولات الكبرى في التأثير في مسيرة الأدب.

إن الأدب الذي بدأ هيناً في بداية مسيرة هذه البلاد، هو الآن يقف شامخاً بين نظائره من الآداب في الأقطار العربية الأخرى. وذلك بفعل تغذيته بعوامل التنمية والاستقرار السياسي والتفاعل الاجتماعي.

ثانياً: الصحافة

أدت الصحافة دوراً حاسماً في نهضة الأدب في المملكة. ولقد تبوأت الصحافة هذا الدور المهم في ظل عدم القدرة على الطباعة في كتب؛ إما لكلفة الإنتاج أو لعدم شيوع ثقافة الطباعة في كتاب في بداية نهضة الأدب. ويشهد تاريخ الصحافة أن كبار الكتاب من الأدباء والشعراء تولوا رئاسة تحرير الصحف في بداية مسيرة الأدب. فقد كانت الصحافة تتغذى على الأدب، كما كان الأدب يدين في حضوره وانتشاره للصحافة.

ومن الجدير أن نذكر أنه منذ بداية النهضة الأدبية وحتى عام ١٣٨٤ هـ كانت علاقة الأدب بالصحافة علاقة فكرية عميقة الجذور، حيث عُرفت هذه الفترة بصحافة الرأي. فهي صحافة جادة، تنشر المقالات الفكرية ومقالات الإصلاح الاجتماعي والشعر والقصة بكثافة عالية. ويربط الباحثون بين هذه الحقبة المزدهرة من تاريخ الصحافة بين ملكيتها للأفراد ودور هؤلاء الأفراد الفكري ورغبتهم في خدمة قضايا الفكر والأدب، حيث كان دورهم هذا هو الداعم الأكبر لما قدمته الصحافة من خدمة للأدب والأدباء.

وهو ما بدأ يخفت بعد أن تحولت الصحافة إلى صحافة مؤسسات. ففي عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م صدر قانون إنشاء المؤسسات الصحفية، حيث انتقلت ملكية الصحف وتراخيصها من الأفراد إلى المؤسسات. وفي هذه الحقبة الجديدة من تاريخ الصحافة في المملكة قلَّ اهتمام الصحف بالأدب، وتحولت من اهتمامها بالرأي والفكر إلى الخبر وتداعياته، ولذلك عُرفت الصحافة في عهد المؤسسات الصحفية بصحافة الخبر والصورة. ولم تعد الصحف مشغولة كثيراً بإنتاج الأدباء الفكري والإبداعي إلا في نطاق ضيق، وفي مساحات محدودة.

الصحف والمجلات الأولى:

ظهرت في بداية النهضة الأدبية العديد من الصحف التي تركت أثراً بليغاً في مسيرة الأدب:

جريدة القبلة

- صدرت في عام١٣٣٤هـ / ١٩١٦م في العهد الهاشمي إبان حكم الشريف حسين للحجاز.
- وقد تزامن صدورها مع بدء الثورة العربية التي لعبت دوراً حيوياً في إذكاء روح الحماسة الأدبية لدى ناشئة الأدب في الحجاز.

كان التوجه العام لجريدة القبلة اتجاهاً قومياً يعزز فكرة العروبة ويدعم تأسيس كيان يجمع العرب.

من الشخصيات القومية التي وفدت وأثرت في ناشئة الأدب في الحجاز حينذاك، وقدمت إنتاجها الأدبي في جريدة القبلة:

- فؤاد الخطيب
- محب الدين الخطيب
- خير الدين الزركلي
- فؤاد شاكر

جريدة أم القرى

- تأسست في العهد السعودي في مكة المكرمة في عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٤م بعد أن ضم الملك عبد العزيز الحجاز.
- جاءت جريدة أم القرى خلفاً لجريدة القبلة التي توقف صدورها.
- كان التوجه العام لجريدة أم القرى اتجاهاً إصلاحياً اجتماعياً، يسعى إلى ترسيخ الوحدة الوطنية ويعزز روح الانتماء.
- أولت أم القرى عناية خاصة بالأدب والأدباء فكانت خير منبر لنشر عطاءاتهم الأدبية والفكرية.

- تعتبر أم القرى الجريدة الرسمية للدولة حتى الآن.

جريدة صوت الحجاز

- أنشئت صحيفة صوت الحجاز في العهد السعودي قبل توحيد البلاد تحت مسمى (المملكة العربية السعودية) بعام واحد، أي في عام ١٣٥٠هـ.
- تماثل صوت الحجاز في قوتها الأدبية جريدة أم القرى، وربما تتفوق على أم القرى في احتفائها بالأدب عموماً والشعر خاصة.

احتجبت عن الصدور في عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م وعادت للصدور باسم صحيفة البلاد في عام ١٣٦٦هـ، وهي تعد مصدراً لأدب الرواد من أمثال محمد حسن عواد وحمزة شحاتة وحسين سرحان، وغيرهم من الأدباء.

مجلة المنهل

- مجلة أدبية أسسها الأديب الراحل عبد القدوس الأنصاري في عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧م.
- أهم مصدر ومرجع للشعر ودراسته في المملكة.
- تعد مرجعاً للعديد من الأدباء الرواد من أمثال: الغزاوي، السنوسي، محمود عارف، حسين عرب، وغيرهم.
- عرفت المنهل باتجاهها المحافظ في الأدب[٣].

صحف أخرى:

هناك العديد من الصحف الأخرى التي لعبت دوراً مهما في نهضة الأدب وتطوره، منها:

- اليمامة وهي أول صحيفة تصدر في نجد في عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.
- الإشعاع، أصدرها الأديب الشاعر سعد البواردي عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٥٦م.

- صحيفة الرائد، أصدرها الأديب عبد الفتاح أبو مدين.
- مجلة العرب، وهي مجلة شهرية الصدور، أصدرها الأديب حمد الجاسر عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ثالثاً: التعليم

- يعد التعليم مدخلاً مهماً لرصد تطور الأدب في المملكة.
- ويمكن أن نلحظ أن من أهم مؤثرات التعليم زيادة نسبة القراء الذين يمكن أن يتعاطوا الأدب بالقراءة والمدارسة.
- بداية التعليم في المملكة كانت بداية تقليدية، اعتمدت على نظام الكتاتيب، ثم التعليم الأهلي من خلال إنشاء المدارس الأهلية وخاصة في مكة وجدة.
- من أهم مدارس التعليم الأهلية التي ساهمت في نشر التعليم:
  - مدرسة الفلاح في مكة المكرمة وجدة وقد تخرج فيها الكثير من رواد النهضة الأدبية في المملكة من أمثال محمد حسن عواد وحمزة شحاته وعزيز ضياء وغيرهم من الأدباء.
  - المدرسة الصولتية في مكة المكرمة
  - المدرسة الخيرية بمكة المكرمة
- وفي العهد السعودي أنشئت مديرية التعليم العامة عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦م.
- وتم افتتاح المعهد العلمي السعودي في مكة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٩م ليكون رافداً أكبر للتعليم في المملكة.
- كما أنشئت بعد ذلك وزارة المعارف في عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.
- أما عصر التعليم الجامعي فقد بدأ في عام ١٣٧٧ هـ / بإنشاء جامعة الملك سعود في الرياض.

- بعد إنشاء وزارة التعليم أخذ التعليم في الانتشار بشكل سريع، ودخلت الفتاة عصر التعليم عندما صدر قرار حكومي ببدء التعليم النظامي للفتاة في عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

رابعاً: البعثات

فلسفة البعوث الدراسية تقوم على محاولة الاستفادة من تجارب الآخرين بأسرع وقت ممكن، فتقوم الدولة بإرسال المبعوثين، ليس بغرض الدراسة فقط، بل من أجل الاطلاع ومعايشة التجارب الاجتماعية والإنسانية لدى المجتمعات الأخرى، لنقل ما هو مفيد وصالح لمجتمعنا.

وإذا كان التوسع في التعليم في الداخل من ضرورات التنمية، فإن إرسال البعوث إلى الخارج من أوجب الضرورات. وقد بدأت مسيرة البعوث إلى مصر لما كانت تمثله في ذلك الحين من تطور حضاري ملموس. فقد كانت من أولى المجتمعات العربية انفتاحاً على الغرب وثقافته ومناهجه وتجاربه وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وعليه فقد تحقق إرسال أول بعثة إلى مصر في عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ أوائل المبعوثين في العودة إلى وطنهم وبدء مسيرة الإسهام في تنمية المجتمع.

خامساً: التفاعل مع الحركات الأدبية في الأدب العربي الحديث

لعل من أبرز ضرورات التنمية الثقافية والأدبية هو الاطلاع والاستفادة من تجارب الآخرين الأدبية، وبالتأكيد لم يكن خياراً عند رواد الأدب في أن يتصلوا بالتجارب الأدبية العربية أم لا، بل كانوا مدفوعين بروح الانتماء للأمة العربية في أدبها وثقافتها وتاريخها الأدبي والفكري. فهم جزء من كل.

من هنا نؤكد أن من أهم عوامل التنمية الثقافية والأدبية هو الاتصال بالحركات الفكرية والأدبية في الوطن العربي.

لقد اتصل أدباء الجيل الأول بحركات التجديد الأدبي في مصر والمهاجر الأمريكية واكتسبوا منها أهمية تطوير الأدب والخروج به من التقليد إلى الصيغ الجديدة.

تأثر أدباء الجيل الأول بجماعة الديوان في مصر.

كما تأثروا بالأدب في المهجر الأمريكي سواء لدى أدباء الرابطة القلمية أو أدباء العصبة الأندلسية.

كما واكب أدباء الجيل الأول كافة التطورات الأدبية، وخرجوا من عزلتهم الأدبية رغم الفوارق الزمنية بين نهضة الأدب في المملكة وغيرها من البلاد الأخرى.

ومهما يكن فالأدب في المملكة جزء من سياق أكبر ألا وهو الأدب العربي، فأي مؤثر عربي يقع أثره مباشرة على الأدب في المملكة.

السؤال الذي يمكن طرحه، هل قدم الأدب في المملكة جديداً؟

لقد قدم الأدب في المملكة ما هو جديد في سياقه، غير أنه يظل في علاقته بالأدب العربي، يمثل علاقة الجزء بالكل.

وليس من الواقعية النظر للأدب في المملكة نظرة إكبار تضعه فوق الأدب العربي. فهو مكمل للصورة الأدبية وجزء من صورة أكبر للأدب العربي.

مسيرة الأجيال الأدبية

الجيل الأول: جيل الرواد

حقائق عامة:

يمثل الجيل الأول أو جيل الرواد المنطلق الأول للأدب في المملكة.

نشأة الأدب في المملكة كانت في منطقة الحجاز، ولم يكن هناك وجود حيوي للأدب في المناطق الأخرى، حيث تأخر ظهور الأدب في المناطق الأخرى إلى بداية الجيل الثاني بعد الحرب العالمية الثانية.

يُحدد الجيل الأول منذ بداية الأدب في عام ١٩١٦م متزامناً مع بدء الثورة العربية في الحجاز إبان الحرب العالمية الأولى، ويمتد إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

بدأت مسيرة إنتاج الجيل الأول بعد ضم الملك عبد العزيز للحجاز، حيث صدر أول كتاب يمثل الأدب والأدباء في الحجاز بعنوان (أدب الحجاز)، وهو الكتاب الذي أصدره محمد سرور الصبان.

يحدد أدباء الجيل بمحددين زمني وفني:

- زمني من حيث تقارب ولادات الأدباء.
- وفني من حيث اشتراكهم في خصائص أدبية عامة توحد بينهم.

****

ينقسم أدباء الجيل الأول إلى جماعتين أدبيتين، تختلفان في نظرتهما للأدب، وتختلفان في إنتاجهما الأدبي:

الجماعة الأولى:

جماعة الغزاوي

- تنسب هذه الجماعة إلى الشاعر أحمد الغزاوي، وقد نسبت الجماعة إليه لأنه أكثرهم شعراً، وأكبرهم قيمة أدبية.
- عُرف عن الجماعة أنها جماعة محافظة تستمد أدبها من أصول الأدب العربي

القديم، بل إنها جماعة ترفض التجديد الأدبي.

- ينتسب إليها كل من أخذ بمبدأ المحافظة في الأدب من أدباء الجيل الأول، ومن أبرز من يمثلها إلى جانب الشاعر أحمد الغزاوي، عبد القدوس الأنصاري وضياء الدين رجب، وعبيد مدني، وفؤاد شاكر، وغيرهم.

الجماعة الثانية:

جماعة الصبان

نابصلا رورس دمحم بيدلأا ىلإ ةعامجلا بسنت

- اهتمت الجماعة بالتجديد، واتخذته منطلقاً لها.
- مسيرة الأدب الذي سنقتفي أثره ونعده الصورة السائدة والحاضرة بقوة في مسيرة الأدب السعودي هو الأدب الذي تطور من خلال أدباء جماعة الصبان.
- أبرز أدباء هذه الجماعة إلى جانب الصبان يأتي محمد حسن عواد، وحمزة شحاتة، وعبد الوهاب آشي، وإبراهيم الفلالي، ومحمد سعيد العمودي، وغيرهم.

****

الإصدارات الأدبية الأولى
في مسيرة الأدب السعودي

- ظهر الإنتاج الأدبي الأول في الأدب السعودي على يد أدباء جماعة الصبان
- الإصدارات الأولى في الأدب السعودي، هي:
  - الكتاب الأول: أدب الحجاز
  - يُعد كتاب أدب الحجاز أول كتاب صدر في العهد السعودي، أصدره محمد سرور الصبان في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.
  - يمثل الكتاب معرضاً لبداية الأدب في المملكة، ومحاولات الناشئين من الأدباء، وقد ضم الكتاب نماذج شعرية ونثرية لخمسة عشر أديباً، تسع منها نماذج شعرية لتسعة شعراء من ضمنهم محمد سرور الصبان.

الكتاب الثاني: المعرض

- أصدره محمد سرور الصبان في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م.
- الكتاب عرض لإجابات الأدباء الشبان على السؤال الذي وجهه لهم الصبان، رغبة في أن يعرض فكرهم حول قضية من أخطر القضايا.
- السؤال هو: (هل من مصلحة الأمة العربية أن يحافظ كتابها، وخطباؤها على أساليب اللغة العربية الفصحى، أو يجنحوا إلى التطور الحديث، ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم قيود اللغة ويسيروا على طريقة حديثة عامة مطلقة؟)[٤]
- كانت إجابات الأدباء تصب في جوهر المحافظة على اللغة الرصينة من ناحية، والعمل على تطويرها بما لا يخل بأصالتها ويزيدها جمالاً ورقياً من ناحية أخرى.

الكتاب الثالث: خواطر مصرحة

هذا هو الكتاب الثالث في سلسلة الإصدارات الأولى في العهد السعودي بعد

كتاب (أدب الحجاز) وكتاب (المعرض)، لكن كتاب (خواطر مصرحة) الذي ألفه محمد حسن عواد، هو أول كتاب للعواد من ناحية، وأول كتاب يصدره مؤلف بمفرده، حيث إن كتاب أدب الحجاز والمعرض كتابان ضما إنتاجاً مشركاً.

وكتاب خواطر مصرحة الذي صدر في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م اتسم بجرأة في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية والأدبية والفكرية في ذلك الحين.

شخصيات من الجيل الأول

١. محمد سرور الصبان (١٣١٦ هـ - ١٣٩٢ هـ):

- هو قائد النهضة الأدبية الحديثة في المملكة، يمتلك روحاً وثابة محبة للأدب. تسمّت جماعة الصبان باسمه حيث كان هو الموجه والداعم الأول لها. أصدر أول كتاب في المملكة، وهو كتاب (أدب الحجاز، ١٩٢٤م)، وهو كتاب يؤكد رغبته في تقديم الجيل الأول من ناشئة الأدب في الحجاز في بداية العهد السعودي والتعريف بهم. فقد ضم الكتاب إنتاج خمسة عشر أديباً، تسعة منهم شعراء من بينهم الصبان نفسه[٥]. لقد أسس الصبان بذلك المعالم الأولى لجيل الرواد من الأدباء السعوديين.
- ولم يتوقف عطاء الصبان عند هذا الحد، بل إنه أخرج الكتاب الثاني في العهد السعودي، بعنوان (المعرض، ١٩٢٦)، وهو كتاب يحمل إنتاجاً مشتركاً كذلك[٦]، ولكن من خلال السؤال الذي ألقاه الصبان على أدباء جيله، السؤال هو: «هل من مصلحة الأمة العربية أن يحافظ كتابها، وخطباؤها على أساليب اللغة العربية الفصحى، أو يجنحوا إلى التطور الحديث، ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم قيود اللغة ويسيروا على طريقة حديثة عامة مطلقة؟»
- كانت إجابات الأدباء تصب في جوهر المحافظة على اللغة الرصينة من ناحية، والعمل على تطويرها بما لا يخل بأصالتها ويزيدها جمالاً ورقياً من ناحية أخرى.
- أسس الصبان ما يمكن أن يطلق عليه أول دار نشر وهي المكتبة الحجازية.

٢. محمد حسن عواد (١٣٢٤ هـ - ١٤٠٠ هـ):

كان العواد أحد الشخصيات الأدبية التي لعبت دوراً حيوياً في نهضة الأدب السعودي. اتسم فكره بالجرأة والوضوح في طرق مسائل الإصلاح الاجتماعي. فكان رائداً من رواد الإصلاح الاجتماعي والأدبي. ولعل كتاب خواطر مصرحة خير شاهد على ذلك. وكتاب (خواطر مصرحة، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م) إلى جانب أنه الكتاب الثالث

في سلسلة الإصدارات الأولى في العهد السعودي بعد كتاب (أدب الحجاز) وكتاب (المعرض)[٧]، فإنه، وهذا يمثل دلالة قوية على فكر العواد وقوته، أول كتاب للعواد منه ناحية، وأول كتاب يصدره مؤلف بمفرده، حيث إن كتاب أدب الحجاز والمعرض كتابان ضما إنتاجاً مشركاً.

- اتسم كتاب خواطر مصرحة بجرأة في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية والأدبية والفكرية في ذلك الحين.
- وقد عني العواد بالمرأة والتنبيه على حقوقها وضرورة احترامها اجتماعياً كما احترمها الإسلام من قبل، وليس غريباً أن يطلق عليها العواد (الجنس العطوف)[٨]، بدلاً من (الجنس اللطيف)، وهو بذلك يشير إلى مكامن العطاء والتضحية لديها.
- ولتأصيل اتجاهه في الإصلاح الاجتماعي، يصدر العواد كتاب (محرر الرقيق، سليمان بن عبد الملك) وهو كتاب يناقش مشكلة الرقيق في عصره من خلال منظور تاريخي.
- وإذا كان العواد في كل ما يصدر عنه يحمل هم مجتمعه، فإنه كان مهتماً في المقام الأول بتطوير الأدب وتجديده من ناحية، والدعوة إلى أدب جيد ملتحم مع الحياة من ناحية أخرى، وهو في ذلك يصدر عن تأثر واضح بدعوة جماعة الديوان في مصر وخاصة العقاد. فقد عرف عنه أنه أول من كتب قصيدة من الشعر الحر، إن لم يكن في الأدب العربي فلا ريب أنها المحاولة الأولى في الأدب السعودي. كانت القصيدة بعنوان (خطوة إلى الاتحاد العربي)، وقد نشرت في عام ١٩٢٤م في بداية ضم الحجاز للعهد السعودي.

ولعل المتأمل في شكل القصيدة يجد دلالة المزامنة والمواكبة مع التغير السياسي الذي حصل في الحجاز. فلماذا هذا الشكل وهو شكل لم يكن مألوفاً في عصره، هل أراد العواد أن يوحي لجيله أن هذا العصر مختلف وأن الضرورات تقتضي التغير الأدبي مواكبة لهذا الحدث التاريخي؟ كما أن المتأمل للعنوان القصيدة يلمس دلالة عميقة، من حيث اعتبار الحدث خطوة إلى حلم أكبر هو الوحدة العربية الكبرى التي حلم بها جيله.

لقد كان العواد في كل ما يصدر عنه، ساعياً إلى التجديد. فقد كتب كل أشكال الشعر المعروفة (العمودي، الشعر المرسل، الشعر المنثور، والشعر الحر).

أصدر العواد العديد من الدواوين الشعرية، منها: آماسٍ وأطلاس، والبراعم أو بقايا الأمس، ورؤى أبولون.

كما أنه سعى إلى تقديم العديد من الدراسات النقدية في إصلاح الأدب وتطويره، ولعل من أبرزها، كتاب (الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية)، وهي قضية من القضايا الأدبية والنقدية الحاضرة بقوة في الأدب العربي عموماً، وقد حاول فيها تبسيط النظام العروضي للشعر العربي القديم.

ومن أبرز مؤلفاته إلى جانب خواطر مصرحة، تأملات في الأدب والحياة، ومن وحي الحياة العامة، وهما كتابان يؤكدان نظرة العواد إلى الأدب وعلاقته بالحياة. فالأدب الحي لديه هو الذي يتصل بأسباب الحياة أولاً وآخراً.

٣. حمزة شحاتة (١٣٢٨ هـ - ١٣٩٠ هـ)

- عرف حمزة شحاتة بنزعته الفلسفية التي بثها في أدبه وشعره. أصدر كتاباً مهماً بعنوان (الرجولة عماد الخلق الفاضل)، والكتاب في أصلة محاضرة ألقاها في الموسم الثقافي في جمعية الإسعاف الخيري بمكة المكرمة في عام ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م. وقد بين شحاتة في هذا الكتاب فكره الواضح في فلسفة الأخلاق الفاضلة على أساس الحياء النابع من الإيمان الصادق.
- له ديوان شعر مطبوع، تتجلي فيه مظاهره الرومانسية التي تداخلها نزعات شحاتة الفلسفية.
- كما صدر عن مؤسسة تهامة بجدة بعد وفاة شحاتة كتاب بعنوان (رسائل إلى ابنتي شيرين، ١٩٨٠م)، وهي رسائل تتجلى فيها تأملاته الفلسفية وتبين موقفه من الحياة وخاصة بعد عزلته الاختيارية في القاهرة في أواخر حياته حيث وافته المنية.

٤. أحمد سباعي (١٣٢٣ هـ - ١٤٠٤ هـ)

- كاتب غلب عليه النثر فكتب القصة والرواية والتاريخ بوعي عميق.
- اشتغل أحمد سباعي بالصحافة كاتباً، وكذلك قام بتأسيس صحيفة الندوة، ثم قريش.
- كان له الفضل في تقديم أول محاولة مسرحية في أوائل الستينيات الميلادية، لكنها لم تر النور لأسباب اجتماعية.
- سعى في كتاباته إلى التنوير والإصلاح الاجتماعي، فجاءت كتاباته قصصه ومقالاته تغذي هذا الاتجاه. ولعل في رواية (فكرة، ١٩٤٧م) أو مجموعته القصصية (خالتي كدرجان، ط٢، ١٩٨٠) ما يعزز حضور هذا الاتجاه بشكل كبير في كتاباته.
- له في السيرة الذاتية كتاب (أيامي)، وله كتاب في التاريخ بعنوان (تاريخ مكة).
- يتشارك مع أحمد قنديل في شيوع الروح الساخرة في كتاباته، وتمتعه بروح ابن البلد وخاصة في قصصه.

٥. عبد القدوس الأنصاري (١٣٢٤ هـ - ١٤٠٣هـ)

- أديب موسوعي، فهو عالم لغوي ومحقق ومؤرخ.
- أسس أول مجلة أدبية وهي المنهل التي قدمت خدمات جليلة للأدب السعودي، ورغم وفاة الأنصاري فإنها لا تزال تصدر بانتظام، مواكبة التطورات الأدبية المختلفة.
- أصدر العديد من الكتب، منها:
- - تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة
- - تأريخ مدينة جدة

- – تاريخ العين العزيزية بجدة
- – طريق الهجرة
- وفي مجال الرواية أصدر أول رواية في الأدب السعودي وهي رواية (التوأمان) في عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، كما أصدر بعد ذلك رواية بعنوان (مرهم التناسي).
- – له ديوان شعر بعنوان (الأنصاريات).

٦. عبد الكريم الجهيمان (١٣٣٠ هـ - ١٤٣٣ هـ)

- شاعر وناثر، لكنه مقل في شعره، حيث اتجه إلى الكتابة النثرية بغزارة، فأصدر العديد من المؤلفات التي تتسم بروح النقد والإصلاح الاجتماعي، منها (دخان ولهب، وأين الطريق، وآراء فرد من الشعب.
- اشتغل بالصحافة فكان أول من أصدر جريدة في المنطقة الشرقية حيث أصدر جريدة (أخبار الظهران)
- اهتم بجمع التراث الشعبي ودراسته دراسة علمية وافية، فجمع الأساطير الشعبية في كتاب بعنوان (أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب)، وكتاب (الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب). ورغم محافظة الجهيمان على روح هذه الحكايات فقد تصرف في تقديمها بلغة عربية فصيحة ليفهمها القارئ العربي أينما وجد.

٧. حمد الجاسر (١٣٢٩ هـ - ١٤٢١هـ)

- أديب وعلامة موسوعي، اهتم بالدراسات التاريخية والجغرافية، حيث أصدر (المعجم الحديث لبلاد نجد)، وكتاب (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ)، وكتاب (بلاد ينبع)، وكتاب (طرق الحج القديمة)، ومن أهم مؤلفاته (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية).

- حقق حمد الجاسر العشرات من كتب التراث في تاريخ وجغرافية بلاد العرب وأنسابهم.
- ولأهميته العلمية فقد اختير عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة والعراق ودمشق.
- من أهم الآثار التي أنشأها إصداره لمجلة (العرب) التي كانت رافداً من روافد الفكر الأدبي والتاريخي القديم والمعاصر.

الجيل الثاني

- أدباء هذا الجيل هو الجيل الذي بدأ عطاؤه الأدبي بعد الحرب العالمية الثانية، وشهد أدباؤه نكبة احتلال فلسطين في عام ١٩٤٨م.
- يمثل الجيل الثاني (جيل القاعدة العريضة من الشعراء)، فقد ظهر أدباء هذا الجيل في كافة أنحاء المملكة، ولم يقتصر وجودهم على منطقة الحجاز كما كان الحال عليه مع أدباء الجيل الأول. ويُعد هذا الجيل أنضج تجربة بحكم التطور التاريخي للأدب السعودي وزيادة تفاعل الأدباء مع محيطهم الخارجي.
- امتاز هذا الجيل بكثرة الشعراء والأدباء، ومن أبرزهم: محمود عارف، طاهر زمخشري، عبد الكريم الجهيمان، محمد حسن فقي، محمد أحمد العقيلي، أحمد عبد الغفور عطار، حسين سرحان، أحمد قنديل، حسين عرب، حسن عبد الله القرشي، سعد البواردي، عبد الله بن إدريس، عبد الله بن خميس، غازي القصيبي، ثريا قابل، غادة الصحراء.
- شهد هذا الجيل ظهور المرأة الأديبة لأول مرة. فيسجل تاريخ الأدب ظهور الشاعرة ثريا قابل التي أصدرت ديواناً بعنوان (الأوزان الباكية)، والشاعرة غادة الصحراء، والشاعرة نداء.

شخصيات من الجيل الثاني

١. طاهر زمخشري (١٣٣٢هـ - ١٤٠٧هـ)

- شاعر عده النقاد أحد أهم شعراء التيار الرومانسي في المملكة. اشتغل بالعمل الإذاعي، وهو يشبه في ذلك أحمد قنديل الذي وجد في الإذاعة وسيلة لتبليغ رسالته. وطاهر زمخشري، الذي عرف بلقب بابا طاهر نظراً لاهتمامه بأدب الطفل، سعى إلى الإصلاح الاجتماعي، ولكن بوعي مختلف، فقد رأى في جيل النشء المبكر خير جيل يمكن أن يفقه الحياة ويتقبل الفكر الإصلاحي الناضج. فقد قدم زمخشري برنامجاً إذاعياً موجهاً للطفل حمل اسم بابا طاهر. ورغبة في زيادة التواصل مع الطفل أنشأ أول مجلة أطفال سعودية، وهي مجلة الروضة التي صدرت في عام ١٩٥٩، لكنها توقفت بعد أشهر قليلة من صدورها.
- ورغم هيمنة البعد الرومانسي في شعره، فإن ذلك لم يعزله عن قضايا أمته وعلى رأسها قضية فلسطين، حيث خصص ديواناً كاملاً عن قضية فلسطين بعنوان (من الخيام)، وهو نمط من الالتزام الأدبي وتسجيل الموقف.
- عاش متنقلاً بين السعودية وتونس، حيث تغنى بتونس وجمال طبيعتها، وكرمته الحكومة التونسية بمنحه وساما رفيعا.
- حصل على جائزة الدولة السعودية التقديرية في عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- له إنتاج شعري غزير، بدأه بإصدار أول دواوينه الشعرية في عام ١٣٤٦هـ، وهو ديوان (أحلام الربيع)، ثم تبعه بدواوين عديدة منها:
  - أنفاس الربيع
  - أصداء الربيع
  - أغاريد الصحراء
  - على الضفاف
  - ألحان مغترب

٢. محمد حسن فقي (١٣٣٢ هـ - ١٤٢٥ هـ)

- شاعر متمكن من أدواته الشعرية، حافظ على الشكل الشعري القديم، لكن بروح متجددة من الصور والأخيلة، فكان من أكثر شعراء جيله قدرة على المزاوجة بين الموروث الشعري القديم والنزعة الرومانسية التي غلبت على شعره. كما غلب على شعره ونثره نزعة فلسفية متأملة، فجاء شعره يحمل الحكمة المجردة، والتصوير الحي للمواقف والمشاعر الإنسانية المختلفة. تأثر كثيراً بشعراء المهجر وخاصة إيليا أبو ماضي، لكنه التأثر الذي لم يلغ شخصيته الشعرية، وبقيت درجة التأثر في التقاط الخيوط الأولى للفكرة التي يمنحها فكره الخاص وجمال تصويره الأخاذ. له شعر غزير، لكن المفارقة تكبر عندما نعلم أنه لم يصدر إلا ديواناً واحد بعنوان (قدر ورجل)، كما أنه كان شاعر رباعيات تنشر يومياً في صحيفة المدينة، جمعت وطبعت تحت عنوان (رباعيات). كما أصدر كتاباً واحداً عبارة عن محاورة فلسفية بين شيخ ومريد، بعنوان (فيلسوف).
- يُعد من أوائل الأدباء الذين اشتغلوا في الصحافة، فقد كان من بين الأدباء الذين رأسوا تحرير جريدة صوت الحجاز لمدة عام واحد في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.

٣. حسين سرحان (١٣٣٤ هـ - ١٤١٣هـ)

شاعر وناثر اتسم شعره ونثره بنزعة فلسفية ساخرة. مارس الكتابة الصحفية مبكراً حيث بدأ نشر مقالاته في جريدة (أم القرى).

كان له ولع خاص بالقول في القضايا الوجودية الكبرى، ففي قصيدة له بعنوان (وهم الخلود)، يقول:

الدود يخلع عنك حســـن غلالة كانت تروق الناظرين وتســـحر

شوهاء، أفجع في العيون من العمى روعاً، وأعصف بالنفوس وأنكر

وقد جاءت نزعة التأمل والسخرية في أدب حسين سرحان نابعة من روح ناقدة لا

تهدأ عند مشارف المألوف، بل تجد في البحث عما يحقق الكرامة الإنسانية.

صدر له من الدواوين الشعرية:

- أجنحة بلا ريش
- الطائر الغريب

٤. أحمد قنديل (١٣٣٢هـ - ١٣٩٩هـ)

- عرف عن أحمد قنديل أنه كان شاعراً متعدد الجوانب، حيث نظم الشعر الفصيح وأجاد فيه والعامي باللهجة الحجازية واقترب فيه من وجدان الناس في مجتمعه.
- بعد مشوار مع العمل الحكومي تفرغ للأدب، وأضاف إلى اهتماماته الاهتمام بالعمل الإذاعي ، حيث مؤسسة رائدة للإنتاج الفني تمد الإذاعة والتلفزيون بمواد تمثيلة مختلفة ومتنوعة، من أبرزها برنامج (زقزوق وظريفة) الذي ظل يكتبه للإذاعة لسنوات طويلة وحظي بشعبية كبيرة.
- وللمتابع أن يتساءل ما الذي يدفع أديباً يكتب بالفصحى بإجادة تامة، يتخذ من اللهجة الحجازية المحكية والإذاعة وسيلة للتعبير عما يريد أن يبثه من أفكار. لقد أراد قنديل كما، فعل غيره من الأدباء من أمثال طاهر زمخشري وحسن عبد الله القرشي، أن يصل للناس بسهولة ليحقق أثراً في نفوسهم ووجدانهم، وخاصة إذا أدركنا أن الأدباء كانوا يعيشون في محيط اجتماعي تغلب عليه أمية القراءة. وهذا هو أحد الأدوار التنويرية التي أداها قنديل وغيره من الأدباء. فقد كان بإمكانه أن يبقى أديباً يكتب للنخبة، ويظل تأثيره محدوداً، لكنه آثر أن يفقد شيئاً من ترفع النخبة ليصل إلى الناس برسائله التنويرية ويؤكد دعوة العواد أن الأدب للحياة والناس.
- أصدر أحمد قنديل كتاب (الجبل الذي صار سهلاً)، وهو أشبه بالسيرة الذاتية في تأملاته ورصده لمعالم الذاكرة الشخصية والاجتماعية.

- عرف عن أحمد قنديل أنه كاتب بلدي ساخر يتحلي بروح ابن البلد في كل ما يصدر عنه من أدب.

٥. محمد أحمد العقيلي (١٣٣٦هـ - ١٤٢٣هـ)

- مؤرخ ومحقق ودارس مميز.
- وهو أحد أدباء منطقة جازان الذي وجه اهتمامه إلى دراسة أدب منطقته وتاريخها الأدبي والاجتماعي.
- أصدر كتاب (المخلاف السليماني أو كتاب الجنوب في التاريخ)، وأصدر أيضاً كتاب (السلاطين من شعراء القرن السادس الهجري).
- كما جمع التراث الأدبي الشعبي بلهجة منطقة جازان وأصدره في كتاب (الأدب الشعبي في الجنوب).
- يشترك مع مجموعة من الأدباء في صفة ابن البلد، وذلك لاهتمامه بدراسة وتقديم الأدب الشعبي كل في بيئته. فأحمد قنديل وأحمد السباعي وعبد الله بن خميس وغيرهم خدموا أدبهم الشعبي بطرق مختلفة.

٦. أحمد عبد الغفور عطار (١٣٣٤ هـ - ١٤١هـ)

- أديب ولغوي بارز، ومترجم.
- أصدر العطار ديواناً شعرياً بعنوان (الهوى والشباب، ١٩٤٦م) عُد من أوائل الإصدارات الشعرية في المملكة.
- كتب العطار القصة، حيث أصدر مجموعة قصصية بعنوان (أريد أن أرى الله) في عام ١٩٤٧م.
- ورغم ذلك لم يستمر في التعامل مع الأدب، بل اتجه إلى الدرس اللغوي والترجمة وكان إسهامه في الدراسات اللغوية مميزاً.

- من هنا جاء اهتمامه بدراسة اللغة وصناعة المعاجم، حيث حقق (معجم الصحاح) للجوهري، مع مقدمة ضافية في علم المعاجم العربية وصناعتها.
- اهتم كذلك بالترجمة، حيث ترجم من اللغة البنغالية التي كان يجيدها مسرحية (الزنابق الحمر) وهي مسرحية من روائع شاعر الهند العظيم (طاغور).

٧. حسن عبد الله القرشي (١٩٣٤م - ٢٠٠٤م)

- القرشي شاعر وأديب معروف من الحجاز. حصل على ليسانس في التاريخ. شغل وظائف عديدة بوزارة المالية والخارجية والإذاعة، وعيّن سفيراً في الخارجية.
- صدر له الكثير من الدواوين منها: ديوان (البسمات الملونة، ١٩٤٩)، وديوان (أطياف من رماد القرية، ١٩٨٩)، وديوان (ستائر المطر، ١٩٩٧).
- تعددت اتجاهات القصيدة في شعر القرشي، حيث بدأ بكتابة القصيدة العمودية، ولكن نتيجة لاتساع أفقه الأدبي استطاع أن يستوعب تطورات الشعر الحديث، فكتب الشعر المرسل والشعر الحر أو شعر التفعيلة، حيث أصبح أحد أبرز كتاب الشعر الحر في جيله.
- تحول إلى كتابة قصيدة التفعيلة بعد أن اختبر موهبته في الشعر العمودي.
- أسهم في كتابة القصة القصيرة، حيث أصدر مجموعة (أنات الساقية)، ورغم ذلك فقد كان تركيزه بشكل أكبر على تجربته الشعرية.

٨. عبد الله بن إدريس (١٣٤٩ هـ -)

- شاعر نظم الشعر منذ سن مبكرة في حياته، حيث أصدر ديوانه (في زورقي)، وهو ديوان غلبت عليه النزعة الرومانسية.
- يحسب لعبد الله بن إدريس اهتمامه بالدراسة الأدبية والتاريخية لشعراء نجد، حيث أصدر كتاب (شعراء نجد المعاصرون)، وقدم في هذا الكتاب نماذج شعرية تبين تطور الشعر في منطقة نجد.

- أسهم في العمل الثقافي من خلال ترؤسه لنادي الرياض الأدبي فترة ليست بالقصيرة.

٩. عبد الله بن خميس (١٣٣٩هـ - ١٤٣٢هـ)

- شاعر كتب بالفصحى والنبطي، وهو أحد الأدباء والباحثين البارزين في مجال الدراسة الأدبية، وخاصة ما يتعلق منها بالتراث الشعري الشعبي، وكتابه (الأدب الشعبي في جزيرة العرب) خير مثال على ذلك.
- ورغم أنه شاعر عاصر الكثير من التحولات الأدبية محلياً وعربياً، فإنها لم تترك أثراً من الجدة في شعره وأدبه، فقد غلبت عليه النزعة المحافظة، من حيث التزامه بنظام الأوزان الشعرية المتوارثة، ومحافظته على الموضوعات التقليدية في شعره.
- أصدر مجلة الجزيرة ١٣٨٠ هـ، وكانت شهرية ثم غدت أسبوعية، ولم تدم أكثر من أربع سنوات، ثم توقفت. وهو كذلك مؤسس جريدة الجزيرة السعودية.
- أثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب في الأدب والشعر والنقد والتراث والرحلات، ومن مؤلفاته:
  - الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ١٣٧٨هـ.
  - المجاز بين اليمامة والحجاز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
  - معجم اليمامة (صدر ضمن سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية).
  - على ربى اليمامة (ديوان شعري) عام ١٣٩٧هـ.
  - من أحاديث السمر، قصص واقعية من قلب الجزيرة العربية، ١٣٩٨هـ.
  - من جهاد قلم: في النقد، ١٤٠٢هـ.
  - أهازيج الحرب، أو شعر العرضة، ١٤٠٢هـ.

١٠. غازي القصيبي (١٩٤٠م - ٢٠١٠م)

- بدأ القصيبي شاعراً، وهو من متأخري الجيل الثاني من الأدباء، يقول الشعر العمودي والحر مراعياً الصياغة الحديثة وفقاً لما تطورت إليه القصيدة العربية. أصدر العديد من الدواوين، منها: (معركة بلا راية) وديوان (أشعار من جزائر اللؤلؤ)، وديوان (الحمى).
- تحول القصيبي بشكل ملحوظ إلى كتابة الرواية بطريقة لفتت الانتباه ليس فقط لجودتها الفنية، بل لجرأتها على كشف المسكوت عنه بطريقة فنية مرموقة، وخاصة في رواية (العصفورية). وأول رواية فاجأ بها المشهد الأدبي هي رواية (شقة الحرية)، ثم تبعتها مجموعة من الروايات مثل (العصفورية، وأبو شلاخ البرمائي، وسبعة، ودينسكو)، وغيرها من الروايات.
- وفي خارج نطاق الرواية والشعر كتب سيرته في العمل الوظيفي بعنوان (حياة في الإدارة)، وهي سيرة نموذجية للعمل الناجح.
- وعموما القصيبي كاتب غزير الإنتاج، حيث وصل إنتاجه الأدبي إلى أكثر من ستين مؤلفاً.

الجيل الثالث

- تزامن الظهور الأدبي لهذا الجيل مع هزيمة العرب في عام ١٩٦٧م.
- امتاز شعر أدباء هذا الجيل بالمزاوجة بين الشعر المقفى والشعر الحر أو شعر التفعيلة.
- نتيجة لتأثرهم بالهزيمة اتسم أدبهم بالرفض، وشاعت الأسطورة والرمز كثيراً في أدبهم.
- وصفهم عبد الله بن إدريس بأنهم «جيل الهروب والرفض، الهروب من مهمة الحياة، ورفض كل المفاهيم والشك»[٩]. وهذا القول فيه قدر من المبالغة، ذلك أن هذه الظاهرة لا تعدو أن تكون ردة فعل منطقية للهزيمة التي حلت بالعرب في عام ١٩٦٧م وانكسار الأحلام القومية الكبرى[١٠].
- من أبرز شعراء هذا الجيل: أحمد الصالح الملقب (بمسافر)، ومحمد العلي، وسعد الحميدين، ومحمد المشعان، ومحمد أحمد الحساني، وغيرهم.

نموذج شعري:

نموذج لشعر هذا الجيل قصيدة بعنوان (قراءات في الزمن الغارب) من الشعر الحر للشاعر أحمد الصالح (مسافر):

كما يعرفون الليالي الحبالى وما قد يلدن

وأنّ الرماح أبت أن تلين - إذا ما اجتمعن
وأنّ قصيراً لأمر أطاح قصير بأنفه
وقالوا لأجل أنّ أنفك منك ولو كان أجدع
وأنّ غلام المغيرة —
أحدث شرخاً
فأثكل كل نساء الصحابة

وعثمان في دمه كل سيف دعيّ
وقالة سوء ولغن
وأني أنا من غزيّة —
قلباً وجاهاً وروحاً . . .

الجيل الرابع

- تزامن ظهور الجيل الرابع في الأدب السعودي مع بدء الطفرة الاقتصادية والتحولات الاجتماعية العميقة التي أصابت المجتمع بدءاً من ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- نتيجة للتغيرات المؤثرة على مستوى القيم الاجتماعية وتغير التركيبة الاجتماعية، واختلال العلاقة بين القرية والمدينة، وانتقال المجتمع من حد الكفاية الاقتصادية إلى آفاق الطفرة الاقتصادية، وجد الأدباء أنفسهم في قلق انعكس على تجربتهم الأدبية. وأنتج هذا التوتر تجربة شعرية رافضة لاختلال القيم، مندفعة للبحث عن القيم الأصيلة عبر تمثيلاتها المختلفة كما فعل غير واحد من الشعراء من أمثال محمد الثبيتي وعلي الدميني وعبد الله الصيخان ومحمد جبر الحربي عندما اتخذوا من الصحراء رمزاً للنقاء.
- الجيل الرابع جيل في جيلين، كلاهما عاشا زمنياً منذ منتصف السبعينيات الميلادية وحتى الآن. أحدهما اهتم بكتابة الشعر الحر الذي تكثف حضوره وبلغ مراحل نضوجه القصوى بشكل واضح في حقبة الثمانينيات الميلادية. أما الطرف الآخر من الجيل الرابع، فقد اهتم بكتابة قصيدة النثر بتأثير واضح من تجربة مجلة شعر في لبنان في فترة الستينيات الميلادية.
- كثف شعراء الجيل الرابع (أصحاب الشعر الحر وأصحاب قصيدة النثر) من استخدام الرمز والأسطورة، معبرين بذلك عن حيرة وقلق وارتياب من الواقع من حولهم، وتوق إلى الخلاص من أزماته.
- الملاحظة الأكبر وضوحاً هي التداخل بين الشعر الحر وقصيدة النثر، وإن كان الحضور الأكثر في البداية للشعر الحر، فقد تكثف حضور قصيدة النثر، وخاصة في مرحلة التسعينيات الميلادية.
- من أبرز شعراء التفعيلة أو الشعر الحر:
  - يظهر محمد الثبيتي كأحد أهم الأسماء الشعرية، بالإضافة إلى علي الدميني، وعبد الله الصيخان، ومحمد جبر الحربي، ومحمد زايد الألمعي.

* أما أبرز شعراء قصيدة النثر:

- فتأتي فوزية أبو خالد، ومحمد الدميني، ومحمد عبيد الحربي كأفضل من كتب قصيدة النثر في المملكة.

أما أبرز شعراء هذا الجيل فهو محمد الثبيتي:

ولد الشاعر محمد عواض الثبيتي عام ١٩٥٢م في منطقة الطائف. حصل على بكالوريوس في علم الاجتماع وعمل في وزارة التربية والتعليم.

الدواوين الشعرية:

١. عاشقة الزمن الوردي

٢. تهجيت حلما .. تهجيت وهما

٣. بوابة الريح

٤. التضاريس

٥. موقف الرمال.

أصدر النادي الأدبي في حائل أعماله الكاملة في مجلد واحد، يضم جميع إنتاجه الشعري. حصل على عدد من الجوائز أهمها:

- الجائزة الأولى في مسابقة الشعر التي نظمها مكتب رعاية الشباب في مكة سنة ١٣٩٧هـ. عن قصيدة - من وحي العاشر من رمضان -
- جائزة نادي جدة الأدبي عام ١٩٩١ عن ديوان (التضاريس)
- جائزة أفضل قصيدة في الدورة السابعة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ٢٠٠٠ م، عن قصيدة (موقف الرمال.. موقف الجناس).
- جائزة ولقب (شاعر عكاظ) عام ٢٠٠٧م في حفل تدشين فعاليات مهرجان سوق عكاظ التاريخي الأول.

وافاه الأجل في عام ٢٠١١م.

نموذج من شعر محمد الثبيتي:

قرين

لي ولَكْ
نَجْمَتَانِ وبُرْجَانِ فِي شُرُفَاتِ الفَلَكْ
ولَنَا مَطَرٌ واحِدٌ
كُلّمَا بَلَّ نَاصِيَتِي بَلَّلَكْ
سَادِرَانِ عَلَى الرَّمْسِ نَبْكِي
ونَنْدُبُ شَمْساً تَهَاوتْ
وبَدْراً هَلَكْ

وكَلاَنَا تَغَشَّتْهُ حُمَّى الرِّمَالِ
فَلَمْ يَدْرِ أَيَّ رِيَاحٍ تَلَقَّى
وأَيَّ طَرِيقٍ سَلَكْ

* * *

فَرَّقَتْنَا النَّوى زَمَناً
ثُمَّ لَمَّتْ شتَاتَ نَوانَا
عَلَى بُقْعَةٍ من حَلَكْ
قُلْتَ لِي:
هَيتَ لَكْ
هَيتَ لَكْ
سِرْتُ خَلْفَ خُطَاكَ أجَرِّرُ خَطْو المَسَاكِينِ
لَمْ أَسْأَلَكْ

***

في الصَّبَاح
وَقَفْتُ مَليّاً
فَأَلْفَيتُ صَومَعَتِي مَنْزِلَكْ
فَاسْتَشَاطَتْ عُرَى القَلْب
لَكِنَّني حينَ أَبْصَرْتُ عَينَيكَ
رَدَّدْتُ :للَّهِ مَا أَجْمَلَكْ

***

الجيل الخامس

بدأت طلائع هذا الجيل منذ بداية التسعينيات الميلادية، وتظهر أثاره الأدبية منذ منتصف التسعينيات ممتدة إلى العشر الأولى من الألفية الثالثة. وهذا التأريخ له دلالته في سياق المجتمع السعودي، عامة، وعلى المشهد الثقافي والأدبي خاصة. ففي عام ١٩٩٠م وقع احتلال العراق للكويت وتبعه في عام ١٩٩١م حرب تحرير الكويت وما تركته هذه الحرب من تأثيرات اجتماعية وسياسية كبيرة، ليس على المجتمع في السعودية فحسب، بل في العالم العربي أيضاً.

كما شهد المجتمع السعودي في عقد التسعينيات الميلادية انفتاحا غير مسبوق، فقد ظهرت في سمائه قنوات التلفزيون الفضائية، وظهرت تقنية الاتصالات المتحركة (الجوال)، والإنترنت. ورفعت هذه التقنيات من نسبة الانفتاح على الآخر، والخروج من ضيق المعرفة بالآخر إلى رحابة الاتصال والتواصل مع الآخر بوتيرة فيها الكثير من الحتميات وعدم الاختيار.

ويمثل الحادي عشر من سبتمبر في عام ٢٠٠١ نقطة تحول ومنعطف تاريخي على درجة كبير من الخطورة، فقد انكشف المجتمع الذي وجد نفسه مسؤولاً عن خطأ فئة من أبناء المجتمع اختارت التعامل مع الآخر بلغة الإقصاء والتدمير. وكانت النتيجة أن المجتمع بكل فئاته السياسية والدينية والثقافية وقع تحت ضغط التغيير، وبدت ردود الفعل الداخلية دفاعية في أغلب الأحيان.

وقد امتدت تفاعلات هذه المؤثرات لتمس الإنسان ونمط تفكيره، وطريقة عيشه، فأحدثت أثراً عميقة في البنية الثقافية والأدبية، وأحدثت ديناميكية غير معهودة من قبل فزاد التسارع في الإنتاج الأدبي، وفي معالجة القضايا بشمولية أكبر، وبمنظورات أكثر جرأة وخاصة في الكتابة الروائية. كما واصل الشعر مسيرة التطور من خلال الأطر المعرفية والإنسانية التي تشكلت في سياقات هذه الحقبة بكل ثرائها الإنساني والثقافي، وبكل صعوباتها وتحدياتها السياسية والاقتصادية. على أن الحضور الأكبر كان للشعر

الحر وقصيدة النثر، وظهر في هذا الجيل شعراء تركوا بصمات شعرية جيدة من أمثال، أحمد قران الزهراني، وهاشم الجحدلي، ومحمد إبراهيم يعقوب، وعيد الحجيلي، ومسفر الغامدي وعبد الرحمن الشهري، وهدى الدغفق، وغيرهم. وواصل كتاب القصة القصيرة منجزات الجيل السابق، من أمثال حسن عامر، وإبراهيم مضواح، شمس علي، مع ملاحظة خفوت صوت القصة القصيرة في حقبة التسعينيات وما بعدها وإفساح المجال بشكل واضح للرواية التي تحولت إلى النص الأكثر إثارة واستقطاباً للكتاب والقراء على حد سواء.

لقد جاء الإنتاج الروائي في تجربة هذا الجيل إنتاجا لافتاً للانتباه بشكل غير مسبوق بالنسبة إلى مسيرة الأجيال السابقة، من حيث تطور الرواية فنياً، وزيادة إنتاجها، وتنوع موضوعاتها، واقترابها من الموضوعات ذات الحساسية الاجتماعية بصورة أكبر. فمنذ الروايات الأولى لغازي القصيبي (شقة الحرية، والعصفورية)، وروايات تركي الحمد (العدامة، الشميسي، الكراديب)، ورواية عبده خال (الموت يمر من هنا) تغير المشهد الأدبي وأصبحت الرواية هي النوع الذي حرك الرواكد الأدبية. وإذا كان ما فعله القصيبي والحمد وخال، وهم من أجيال سابقة، قد أحدث فرقاً كبيراً، فإن جيل هذه المرحلة سيقدم نفسه بوضوح تام. فظهرت أسماء روائية من الجنسين متفاعلة مع قضايا المرحلة، كتبوا الرواية بلغة احتجاج تختلف عن لغة الرواية في المراحل السابقة. ولعل مرحلة ما بعد عام ٢٠٠١ هي الأخصب والأكثر تحولاً في مسيرة الأدب في المملكة.

ومن أبرز من كتب الرواية في هذه المرحلة إضافة إلى غازي القصيبي وتركي الحمد وعبده خال، يمكن الإشارة إلى رجاء عالم وهي من كتاب الجيل السابق الذي ظهر عطاؤه الروائي بشكل فني وكمي في هذه المرحلة، ولعل من أفضل رواياتها (خاتم، وستر). كما يظهر يوسف المحيميد وهو قاص وروائي، لكن تجربته في الرواية كانت أكثر عمقاً وانتشاراً. وكتب المحيميد مجموعة روايات منها (فخاخ الرائحة، القارورة، الحمام لا يطير في بريدة). ومن الروائيين في هذه المرحلة يمكن الإشارة إلى تجربة محمد حسن علوان وخاصة في روايته (سقف الكفاية). وقد حضر في هذه المرحلة النتاج الروائي للمرأة

فظهرت العديد من الروايات مثل رواية (هند والعسكر) لبدرية البشر، و(ملامح) لزينب حفني. ومن الروايات التي أحدثت فرقاً، خاصة في نسبة المقروئية، رواية (بنات الرياض) لرجاء الصانع.

ولعل أبرز ملامح هذا الجيل هي الاستفادة من نسبية الانفتاح الثقافي والإعلامي، وتسلحه بمعارف متنوعة أسهمت في إعادة التكوين الثقافي، وبلورة مفاهيم مختلفة عن الواقع الاجتماعي وما ينبغي أن يكون عليه.

الظواهر الشعرية وتطورها

الظواهر الشعرية وتطورها

* تمثلت الظواهر الشعرية في أكثر من أسلوب شعري، شكلت مجمل القول الشعري في الأدب السعودي:

أولاً: الشعر التقليدي: وهو شكل شعري متوارث ما يزال حاضراً رغم ظهور أشكال شعرية منافسة له، وهو ما يعرف بالشعر العمودي الموزون والمقفى. ولعل أبرز خاصية في هذا الشعر أنه ليس محاكياً في صيغته للقديم فحسب، بل إنه شعر ملتزم بالموضوعات التقليدية إلى حد كبير، ولذلك فهو شعر مناسبات ومديح ورثاء، منفصلاً إلى حد كبير عن قضايا الشأن اليومي للناس إلا فيما ندر. وقد هيمن هذا الشكل على إنتاج شعراء جماعة الغزاوي وبعض شعراء جماعة الصبان.

ثانياً: الشعر المرسل: وهو شعر موزون على نظام الشطر أسوة بالشكل الشعري التقليدي. فالشاعر يلتزم بوحدة الوزن في القصيدة، غير أنه غير مطالب بالالتزام بقافية واحدة على طول القصيدة، بل قد يلتزم الشاعر قافية في كل بيتين أو ثلاثة أو أربعة، وهكذا، فليس ملزماً بالتقيد بها مثل القصيدة التقليدية. وقد استمد الشعراء السعوديون هذا الشكل من خلال تأثرهم بالشعر المهجري وشعراء جماعة الديوان الذين يعدون من أبرز من روج لهذا الشكل الجديد. وقدر رصد النقاد بواكير هذا الشكل لدى شعراء الجيل الأول من جماعة الصبان وخاصة محمد حسن عواد وحمزة شحاتة[١١].

ثالثاً: الشعر الحر:

* ينسب إلى محمد حسن عواد أنه أول من كتب الشعر الحر في الأدب السعودي وذلك في عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، وذلك بقصيدة (خطوة إلى الاتحاد العربي) استبشاراً بضم الملك عبد العزيز إلى الحجاز إلى حكمه. وتعد هذه التجربة من أقدم التجارب في شكل الشعر الحر الذي أخذ شكله الرسمي بتدشين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب لهذا الشكل في أواخر ١٩٤٧ أوائل ١٩٤٨، وهي الحركة التي عرفت بحركة الشعر الحر.

* تعزز حضور هذا الشكل لدى شعراء الجيل الثاني وخاصة عند الشاعر حسن عبد الله القرشي. أما لدى شعراء الأجيال الثالث والرابع والخامس، فقد أصبح هذا الشكل حاضراً بقوة وبتطور وجماليات لا تقل عما هو في الأدب العربي وخاصة عند شعراء من أمثال أحمد الصالح وسعد الحميدين، ومحمد الثبيتي وعلي الدميني.
* الشعر الحر موزون، متحرر من القافية، يقوم على نظام التفعيلة المفردة، حيث يوزعها الشاعر على نظام السطر بدلاً من نظام الشطر في القصيدة التقليدية.
* وهو شكل يتيح للشاعر القدرة على تكوين تجربة القصيدة الإيقاعية، وفقاً للحالة الشعورية والموضوعية التي يعيشها أثناء كتابة القصيدة.

نموذج قصيدة (خطوة إلى الاتحاد العربي) لمحمد حسن عواد وهي من تجارب الشعر الحر المبكرة ليس في الأدب السعودي فقط، بل في الأدب العربي كذلك[١٢]:

– لقد آن أن تستحيل المدامع يا موطني
إلى بسمات وضياء
وأشياء لم تعلن
وأن تتقوى بعزم
كرهت له أن يني
وتدفع شبانك الطامحين إلى المعليات
لتنعش روح الأمل
أفق واستمع
ثم ألق بها نظرة للنجوم

تريك أشعة نجم يضيء بليل بهيم

بدا كالسها

وسيسري

كبدر يشق الغيوم

يقود مسيرك حتماً

إلى عزة في الحياة

متوجة بالعمل

أفق واستمع

ما تقول البحار على شاطئيك

تآلف بعد الجفاء

بنوك على ضفتيك

فهلل لهذا الإخاء

وأيده في جانبيك

فكم ذا أرى من رجاء، وكائن أرى السائحات

تباعد عنك الفشل

لقد كنت فيما مضى كياناً صغيراً فحسب

وها أنت ذا الآن تمضي

إلى مظهر يشرئب

فكن مظهراً للحياة

وكن جنة للبناة

وكن شامخاً كالجبل ...

رابعاً: الشعر المنثور

* يجمع هذا الشكل بين خصائص الشعر دون الوزن، وخصائص النثر. وقد سعى محمد حسن عواد إلى نحت مصطلح يعبر عن هذا الشكل، فأطلق عليه مصطلح (شَنَرْ)[١٣].

* يعود ابتداع هذا الشكل إلى أمين الريحاني في المهجر الأمريكي، وإلى كتابات جبران خليل جبران وهو من شعراء الرابطة القلميّة في نيويورك، حيث منحه قوة تعبيرية خارقة أثرت في كثير من أدباء المشرق العربي في أوائل القرن العشرين، حتى عرف هذا الأسلوب بالأسلوب الجبراني.

خامساً: قصيدة النثر

* للشعر عناصر متعددة منها: الوزن والقافية، والمجاز، والعاطفة، والتصوير، وغيرها. ولا يستقيم الشعر إلا باستخدامها كلها أو بعضها. اختارت قصيدة النثر أن تتخلى عن الوزن والقافية لدلالة الخروج على التكوين التقليدي للقصيدة بغية ارتياد آفاق جديدة في تجربة القصيدة. إذ يشكل الوزن عنصراً واحداً حضوره دون العناصر الأخرى لا يصنع قصيدة، مثل حضوره في ألفية ابن مالك في النحو، وهي تدخل في باب النظم، وليس الشعر، لأنها تفتقر إلى الغة المجازية والتصوير والخيال والعاطفة وهي عناصر ضرورية. من هنا تبدأ قصيدة النثر، حيث تستجلب بقية عناصر الشعر دون الوزن. وهي تجربة الإنسان مع اللغة من حيث فهم أسرار موسيقاها الداخلية التي توجد في التراكيب المجازية المشحونة بالخيال والعاطفة. فهي تتخلى عن الوزن لمصلحة العناصر الشعرية الأخرى من الصور والتراكيب والأخيلة والمجازات الشعرية مع وضعها في تراكيب نثرية إيحائية وغير مباشرة تعتمد موسيقى داخلية قوامها المواءمة بين الألفاظ والتراكيب المستحدثة. ولا ينجح في قصيدة النثر، سواء كان شاعراً أو متلقياً، إلا من كان لديه الدربة والاستعداد لتذوق قصيدة النثر من هذا الباب.

* برز هذا الشكل في الستينيات الميلادية لدى شعراء مجلة (شعر) التي صدرت في لبنان في عام ١٩٥٧م، بتأثير من الأدب الفرنسي، حيث قام يوسف الخال صاحب مجلة (شعر) ومن معه من الشعراء من أمثال أدونيس بتقديم تجربة مغايرة عرفت بقصيدة النثر التي وجدت لها صدى عند الشعراء العرب بشكل لافت، غير أن الرأي الأدبي انقسم حيالها إلى يومنا هذا بين مؤيد ومعارض. ولعل خلوها من الإيقاع الخارجي هو أحد أهم عوامل الرفض الذي يعود في بعض مظاهره إلى ارتهان واضح للإيقاع بوصفه علامة بارزة في القصيدة، دون توقف يذكر عند عناصر الشعر الأخرى التي لا تقل أهمية في بناء القصيدة، مثل الصور الشعرية، والأخيلة والإيحاء والمجازات وهي لغة شعرية سامية يأتي الإيقاع إن وجد ليضفي عليها موسيقاه الخارجية. بمعنى آخر، هل الإيقاع الشعري أو الوزن شرط لشعرية القصيدة؟ هذا هو السؤال الذي دارت حوله مناقشات الأدباء والنقاد. وربما أن القبول والرفض ليس هو المعيار المناسب للتعامل مع الظواهر الأدبية، بل أن التعايش معها والنظر إليها بوصفها تعبيراً عن قناعات أدبية لا تلغي شيئاً قائماً، ولا تأخذ مكانة أدبية لا تستحقها إلا بالقدر الذي تحظى فيه بالقبول والمتابعة. إن تكاثر الأشكال الأدبية هو لون من تعددية الحياة وتعدد أطيافها وألوانها، ورفضها لا يلغي وجودها، بل يكشف عدم القدرة على فهم تغير الحياة وتطورها.

* ومن أهم رواد هذا الشكل في الأدب العربي، أدونيس وأنسي الحاج، ومحمد الماغوط، وجبرا إبراهيم جبرا، وغيرهم.

* تعزز ظهور هذا الشكل في الشعر السعودي لدى بعض شعراء الجيلين الرابع والخامس، الميلادية، من أمثال فوزية أبو خالد، ومحمد الدميني، ومحمد عبيد الحربي.

التيـــــارات الأدبيـــــــة

التيارات الأدبية

أولاً: المحافظون:

- كان الاتجاه المحافظ أو منهج الاتباع يعني اقتفاء أثر القديم من الأدب، دون أن يكون هناك سعي إلى التطوير والتجديد.
- اقتفى كثير من الأدباء في بداية النهضة الأدبية في المملكة أسلوب المحافظة في الأدب.
- تظهر معالم المحافظة الأدبية في الشكل والمضمون، فالشكل الشعري موزون مقفى، والصور والتراكيب تقليدية. أما المضامين فهي ذاتها والأغراض لا تخرج عن الأغراض التقليدية من المديح والرثاء والفخر مع تركيز واضح على شعر المناسبات.
- من أبرز سمات أدب المحافظين الديباجة الشعرية الرصينة، فهم يعتنون بالألفاظ عناية فائقة، مع الحرص على الفخامة والجزالة.
- يمتازون كذلك بطول النفس الشعري واختيار البحور الشعرية الطويلة.
- ذوبان شخصية الشاعر في قصيدته لأنه سلك مسلك التقليد ولم يبق كثيراً لموهبته الشعرية.
- اهتم الشعراء المحافظون كثيراً بمعارضة الشعراء القدماء.
- كما شاعت ظاهرة الحكمة في شعر المحافظين.
- وشاع شعر المناسبات، وغاب الشعر الذاتي الذي يعد أحد أهم معالم التجديد في الشعر السعودي خاصة، والشعر العربي عامة. حيث طور شعراء جماعة الديوان فكرة الذاتية في القصيدة، بل جعلوها أحد أهم معالم القصيدة الحديثة.
- لا يقتصر شعر الاتجاه المحافظ على حقبة معينة، بل يمتد في كل المراحل الشعرية، لأنه اتجاه في الفكر، وليس مجرد شكل محايد. فليس غريباً أن نصادف بعض

ممثلي التيار المحافظ في كل جيل من الأجيال، لكن حضورهم قليل، وتأثيرهم محدود.

- فالمحافظون شعراء وأدباء يرفضون التجديد، ويرون فيه خروجاً على صورة الأدب الراقي القديم.
- وهم بذلك منفصلون عن الواقع، غير مهتمين كثيراً بتناول مشكلات الإنسان اليومية.
- زادهم الأدبي الصورة الأدبية القديمة، والموضوعات التقليدية.

من أبرز شعراء التيار المحافظ:

- ابن عثيمين، وهو من شعراء الديباجة الشعرية القديمة ومن شعراء إرهاصات النهضة الأدبية في المملكة.
- فؤاد شاكر، من شعراء الجيل الأول.
- أحمد الغزاوي، من شعراء الجيل الأول، وهو من أكثر الشعراء طرقاً لموضوع المناسبة.
- عبد الله بن خميس، وهو من أبرز شعراء الجيل الثاني.
- زاهر بن عواض الألمعي، من شعراء الجيل الثاني .

ثانياً: الرومانسيون:

- الرومانسية مذهب شاع في أوروبا أولاً، ثم انتقل إلى الأدب العربي منذ أوائل القرن العشرين على يد خليل مطران وشعراء جماعة الديوان (عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني). وتأصل هذا الاتجاه مع شعراء المهجر وشعراء جماعة أبولو، حيث بلغ ذروته في الثلاثينيات والأربعينيات الميلادية.

- يعد المذهب الرومانسي في جوهره ثورة على التقليد وثورة على القيود ودعوة إلى الخروج من أسرها.
- ظهر المذهب الرومانسي في الأدب السعودي مبكراً على يد بعض شعراء جماعة الصبان من أمثال العواد وحمزة شحاتة، بالإضافة إلى شعراء الجيل الثاني حتى غلب عليهم.
- من أبرز خصائص المذهب الرومانسي:
  - رفض القديم الأدبي
  - الذاتية
  - الاهتمام بدقائق الحياة
  - شيوع نزعة الحزن والتشاؤم
  - الاهتمام بالطبيعة
  - الاتكاء كثيراً على الخيال.
- لعل من أسباب شيوع المذهب الرومانسي في الأدب السعودي:
  - وقوع الأدباء السعوديون تحت طائلة التأثر بالظواهر الأدبية الرائجة في الأدب العربي، وهو أمر طبيعي نتيجة لعوامل الاحتكاك المستمر والاستفادة من التجارب الأدبية المختلفة.
  - وجد الأدباء في المذهب الرومانسي ملاذاً من هول الفواجع التي مر بها العالم أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفاجعة احتلال فلسطين وهزيمة العرب في عام ١٩٦٧م.
- أبرز شعراء التيار الرومانسي في الأدب السعودي:
  - محمد حسن عواد، حمزة شحاتة، محمد حسن فقي، طاهر زمخشري، حسن عبد الله القرشي، عبد الله الفيصل، وعبد الله بن إدريس، وغيرهم.

ثالثاً: المجددون

تمتد ظلال التجديد الشعري من نقطة الانطلاق الأولى لتجربة التجديد في الأدب السعودي عامة، والتجديد الشعري خاصة، حيث كانت الشرارة الأولى مع جماعة الصبان آخذة في الانتشار التدريجي حتى بلغت ذروة وهجها مع الجيل الخامس. وظاهرة التجديد تظهر في الشكل والمضمون والرؤية، وربما التعبير الأنسب لذلك هو الالتحام الحقيقي بين الرؤية والأداة. فالرؤية هي الأعمق تأثيراً في مسيرة التجديد مع عدم إغفال أهمية الأشكال التي تحمل الرؤية المغايرة. فمن غير شك، فإن شكل القصيدة الحرة التي كتبها العواد في الجيل الأول كانت تعني رؤية أكثر منها مجرد شكل. ذلك أنه كان مبتدعاً في سياق سيطرت عليه المحافظة، فهو يطرق بذلك باباً جديداً شكلاً ورؤية.

كما يأتي خطاب التجديد حاملاً لواء الانفتاح على التجارب الأخرى وداعياً إلى تمثل التجارب الأدبية، لا بصفتها الشكلية فحسب، بل بمعناها الزمني والحضاري. من هنا لا نستغرب انبعاث أجيال لاحقة مستفيدة من المد الرومانسي الذي يعني الخروج على الأنماط التقليدية في صناعة الأدب وفق رؤية مغايرة.

ولعل طفرة التجديد في الأدب السعودي اكتسبت أهميتها الحقيقية من مواكبة حثيثة للمتغير الأبرز في مستوى الأدب العربي، وهو كسر النمطية المحافظة للشكل الشعري العربي القديم المتمثل في عمودية القصيدة، وما ترمز إليه من موقف متحفظ، وفهم متعلق بالماضي دون توافر جرأة خلاقة على الاقتراب من حركة الزمن الآتية.

إن المعنى الذي سجله شعراء التجديد في الأدب العربي ومن بعدهم الشعراء السعوديون هو تبني مشروع الحداثة بوصفها رؤية مغايرة للسائد، كاشفة قوة جذب خلاقة في عمق اللحظة الزمنية الراهنة. وهو فرق جوهري ماثل في حياتنا الأدبية بما تنشغل به من جدل يوضحه نسقٌ من الاختلاف في الرؤية قبل كل شئ.

من هنا نستطيع أن نقول إن الأداة الشعرية التي عبر من خلالها أصحاب التجديد تمثلت في مواكبة حثيثة للأشكال السائدة، من شعر مرسل أو شعر حر أو قصيدة نثر.

غير أنها أشكال لا تنفصل عن فحواها. ومن هنا يمكن أن نخرج من حركة التجديد، الشعراء الذين لم يأخذوا هذه الأشكال بوصفها رؤية مغايرة للسائد في الأساس، بل بوصفها توظيفاً لرؤية محافظة في قالب جديد. فبعض الشعراء رأوا في التجديد مجرد شكل فكتبوا الشعر الحر على سبيل المثال، لكن برؤية محافظة، بل برؤية غير منفتحة على الآخر، وغير مدركة لهيبة اللحظة الزمنية، فحضر الماضي في خطابهم الشعري أكثر من استشرافهم للمستقبل. ويمكن أن نستشهد في هذا السياق بشعر عبد الرحمن العشماوي الذي يحمل شعره رؤية محافظة ترتهن إلى الماضي في إدارتها للحظة الراهنة، ولكن في قالب شعري جديد وهو شعر التفعيلة أو الشعر الحر. والمفارقة أن تجربته في الشكل الحر ناضجة، غير أنها محكومة برؤية مغايرة لراهنها، مثقلة بإيديولوجية مسبقة، توجه مسارها قبل أن تلتحم بشكلها.

إن معادلة الرؤية والشكل معادلة حاسمة في فهم إشكالية التجديد في الشعر خاصة، والأدب عامة. فالشكل تابع للرؤية لا محالة، بينما الرؤية يمكن أن تحضر حتى في الأشكال القديمة. فمثلاً، يمكن النظر لقصيدة (لامية العرب) للشنفرى وهو شاعر جاهلي من شعراء الصعاليك، على أنها حاملة لرؤية رغم محافظتها على الشكل القديم المألوف في عصر الشاعر. فهي تدعو إلى الحرية ولصيانة حقوق الفرد واسترداد ما سلب منها، وهي مفاهيم تمثل جوهر الصراع بين الإنسان وسياقه الاجتماعي والحضاري. إذن، فالرؤية هي التي تؤسس التجديد أكثر من الشكل المجرد.

لا شك أن الأشكال الجديدة (الشعر الحر وقصيدة النثر) تتيح للشاعر القدرة على تكوين تجربة القصيدة الإيقاعية في حالة الشعر الحر، وفقاً للحالة الشعورية والموضوعية التي يعيشها أثناء كتابة القصيدة. فالشعر الحر أو شعر التفعيلة، رغم حفاظه على الوزن، إلا أن الشاعر يتحكم في ميزانه العروضي من خلال توزيعات موسيقية غير مكررة في تشكيل سلمه الموسيقي وفقاً لرؤيته لحظة كتابة القصيدة. فللشاعر كامل السيطرة على القالب الإيقاعي الجاهز. ورغم اختلاف الأمر بالنسبة لقصيدة النثر من حيث انعدام الوزن فيها، فإن صياغة الجملة الشعرية تلعب دوراً حاسماً في بناء قصيدة متوترة، وخلاقة وفاعلة في تشكيل رؤية الشاعر.

الظواهر السردية (النشأة والتطور)

الظواهر السردية (النشأة والتطور)

أولاً: القصة القصيرة

تعريف القصة القصيرة:

القصة القصيرة تكتب بالنثر، وتعتمد الخيال في تصويرها الواقع. فهي عبارة عن موقف أو لمحة سريعة توظف فيها شخصية واحدة وحدث واحد تدور حوله القصة. وتزاوج القصة بين عنصري السرد القائم على حركة الأفعال، والوصف الذي يعزز الحضور النفسي والاجتماعي للشخصية والمكان والأشياء. لغتها مكثفة ولا مجال فيها للإسهاب أو الاستطرادات التي تطيل القصة.

مراحل تطور القصة القصيرة:

مرحلة النشأة في كتابة القصة القصيرة:

(من ١٩٣٠م إلى قيام الحرب العالمية الثانية)

- كانت نشأة القصة القصيرة في المملكة في أحضان الصحافة، فمن خلالها تطورت ووجدت المنفذ الملائم للظهور والتداول[١٤].
- أتيح للأدباء من الرعيل الأول نشر إنتاجهم القصصي في جريدة صوت الحجاز ومجلة المنهل أكثر من أي منبر آخر.
- ومثلما استفادت القصة من الصحافة في بداية نشأتها، فقد وجدت الصحافة في القصة القصيرة مادة رائجة بين القراء، فزاد الاهتمام بها، وزادت مساحة نشرها، حتى غدا التلازم واضحاً بين القصة القصيرة والصحافة.
- أولت مجلة المنهل القصة القصيرة عناية فائقة، من منطلق أن القصة لون رفيع من ألوان الأدب العالمي[١٥]، وهي بذلك تُعد أهم مصدر لنشر القصص القصيرة في مرحلة النشأة.
- في بداية نشأة القصة كان هناك خلط بين المقال القصصي الذي يتوخى سرد فكرة المقال على شكل قصصي، وبين القصة التي تعتني بتقديم الشخصية والاعتناء بالمكان والزمن القصصي.

- من أبرز القصص في مرحلة النشأة قصة (الابن العاق) لعزيز ضياء، و(على ملعب الحوادث) لعبد الوهاب آشي.
- تميزت مرحلة النشأة بظهور قصص للكتاب الوافدين للمملكة إلى جانب قصص الكتاب السعوديين.
- من أبرز كتاب القصة الوافدين الذين تركوا أثراً في التعريف بفن القصة، يأتي أحمد رضا حوحو، وهو أديب جزائري نشر أول قصصه في مجلة المنهل بعنوان (الانتقام). فقد عرَّف بالقصة التي كانت قبله فناً أدبياً غريباً عن الحياة الأدبية في المملكة[١٦].
- ومن الكتاب الوافدين محمد عالم الأفغاني الذي أسهم في نشأة القصة واستمر في الكتابة حتى بعد مرحلة النشأة. من أبرز قصصه قصة (الثأر).
- من أبرز كتاب القصة القصيرة السعوديين في مرحلة النشأة، عزيز ضياء، محمد سعيد العامودي، محمد أمين يحيى، محمد على مغربي.

المرحلة الثانية في كتابة القصة القصيرة: مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

- لعل من أبرز مظاهر القصة في هذه المرحلة هو انتشارها، وتطورها فنياً، وتنوع مضامينها.
- ساعدت مجموعة من العوامل على انتشار القصة وتطورها منها، تزايد نسبة ترجمة القصص التي أثرت بدورها في تطور مفهوم القصة الفنية لدى الكتاب.
- التوسع في نشر المجموعات القصصية، ولكن من قبل كتاب عرفوا باهتمامات أدبية شعرية في الغالب، من أمثال حسن عبد الله القرشي الذي أصدر(أنات الساقية)، أو أحمد عبد الغفور عطار الذي أصدر (أريد أن أرى الله).
- من الكتاب الذين ظهروا في هذه المرحلة ثم استمروا، نذكر منهم إبراهيم الناصر الذي أصدر مجموعة (أمهاتنا والنضال)، وعبد الله جفري الذي أصدر مجموعة (حياة جائعة).

المرحلة الثالثة: مرحلة الطفرة القصصية (من منتصف السبعينيات الميلادية وحتى منتصف التسعينيات الميلادية)

- تعد هذه المرحلة من أخصب المراحل، من حيث الإنتاج القصصي، ومن حيث التطور الفني، بل إن القصة في مرحلة الثمانينيات الميلادية بلغت أوج مجدها الفني على يد مجموعة من الكتاب على رأسهم محمد علوان، وجار الله الحميد، وحسين على حسين، وسباعي عثمان وغيرهم.
- كما ظهر جيل أصغر عمراً، لكنه واصل كتابة القصة بتطور فني ملحوظ، منهم عبده خال، وسعد الدوسري، وحسن النعمي، وعبد العزيز الصقعبي، وغيرهم.
- كما سجلت المرأة حضوراً متواضعاً مقارنة بإسهام الرجل. فمن أبرز الكاتبات في تلك الحقبة، فوزية البكر، وقماشة السيف، ولطيفة السالم، ورقية الشبيب، وقد توقفن عن النشر لأسباب غير معروفة. كما نلاحظ الحضور الجيد لشريفة الشملان وأميمة الخميس وبدرية البشر، ونورة الغامدي وغيرهن من القاصات.
- ظهرت اتجاهات مختلفة في كتابة القصة في هذه المرحلة، منها اتجاه تيار الوعي، وتوظيف الأسطورة، وتوظيف الحكاية الشعبية، بالإضافة إلى استمرار مظاهر القصة الواقعية بكل اتجاهاتها وخاصة الواقعية النقدية، والواقعية السحرية.
- اتسمت هذه المرحلة بغزارة الإنتاج وغزارة الاحتفاء النقدي، وهو ما لم يكن حاضراً في المراحل السابقة.
- ومن أبرز المجموعات التي صدرت في تلك الحقبة وشكلت علامات فارقة في مسيرة الفن القصصي في المملكة، وهذه المجموعات ليست إلا نماذج لغيرها من المجموعات التي شكلت قفزة نوعية في مسيرة القصة:
  - (الصمت والجدران) لسباعي عثمان
  - (الرحيل) لحسين علي حسين
  - (الخبز والصمت) لمحمد علوان

- (أحزان عشبة برية) لجار الله الحميد
- (الحفلة) لعبد الله باخشوين
- (ليس هناك ما يبهج) لعبده خال
- (آخر ما جاء في التأويل القروي) لحسن النعمي
- (انطفاءات الولد العاصي) لسعد الدوسري

- اتسمت هذه المرحلة بالاحتفاء النقدي، وهو ما لم يكن حاضراً في المراحل السابقة. ولكنه نقد في معظمه كان صحفياً ولم ينشر في كتب مستقلة إلا إذا استثنينا ما قام به الدكتور محمد صالح الشنطي وهو من أكثر المهتمين بالإنتاج القصصي في المملكة في تلك الحقبة، حيث أصدر كتاباً عن القصة القصيرة في المملكة قدم فيه دراسات موسعة عن ملامح التطور الفني للقصة.
- كما أتيح للقصة القصيرة منبر الإلقاء في المنابر الأدبية من خلال الأمسيات القصصية التي تبنت إقامتها الأندية الأدبية، وذلك أسوة بالشعر الذي يحظى بالتفاعل المنبري. وهي تجربة بدت أقل جاذبية بالنسبة إلى القصة، ذلك أن القصة بتركيبتها الفنية تحتاج إلى قراءة وتأمل، وهي تختلف في ذلك عن بنية الحكاية البسيطة التي تحفل بالمباشرة في بنائها والوضوح في مراميها. وعلى أي حال فهذه التجربة ربما كانت غير مسبوقة، ومبررة من حيث الرغبة في الوصول إلى المتلقي عبر أشكال مختلفة.

المرحلة الرابعة: من منتصف التسعينيات وحتى ٢٠١٠م

- شهدت هذه المرحلة انحسار الاهتمام بالقصة القصيرة من الناحية النقدية والمتابعة الصحفية، وانصراف كثير من كتابها إلى كتابة الرواية التي تعد هي المتسيدة على كافة أشكال الإبداع الأدبي منذ منتصف التسعينيات الميلادية. أما من الناحية الفنية فمازالت القصة في تطور فني ملموس، وظهر كتاب وكاتبات كرسوا الاتجاهات الفنية في كتابة القصة القصيرة مثل ليلى الأحيدب وبدرية البشر،

وصالح السهيمي وأميمة الخميس وغيرهم. غير أن اللافت في هذه المرحلة هو ظهور الاهتمام بكتابة القصة القصيرة جداً كما في كتابات فهد المصبح وغيره من الكتاب دون أن يكون هناك حضور لافت لهذا اللون سواء في الصحافة أو المنابر الثقافية.

ثانياً: الرواية

تعريف الرواية:

الرواية، قصة طويلة تكتب بالنثر، وتعتمد الخيال في تصويرها الواقع. تتعدد فيها الشخصيات ويتسع أفق المكان والزمان. وتزاوج الرواية بين عنصري السرد القائم على حركة الأفعال، والوصف الذي يعزز الحضور النفسي والاجتماعي للشخصيات والأمكنة والأشياء. والرواية أنواع مختلفة؛ منها الرواية الواقعية، والرواية النفسية والرواية التاريخية، والرواية الرومانسية وغيرها. ورغم تعدد هذه الأنواع، فإن بعض الروائيين ينجحون في خلق نص روائي يستوعب هذه الأنواع المختلفة حسب ما تقتضيه طبيعة كل رواية.

- استهلت الرواية السعودية مسيرتها بصدور رواية (التوأمان) لعبد القدوس الأنصاري وذلك في عام ١٩٣٠م.
- وكأي بداية فقد جاءت رواية (التوأمان) ضعيفة من حيث مستواها الفني، ومحافظة في رؤيتها، حيث كان موضوعها الأساسي يعالج مشكلة العلاقة الحضارية بين الشرق والغرب. ورغم أهمية الموضوع، فإن الصراع قد حسم فيه لبيان عظمة الشرق وفساد الغرب دون مراعاة نمو الشخصيات وفقاً لأصول الفن الروائي. أبطال الرواية (رشيد وفريد) توأمان عاشا تجربتين مختلفتين، رشيد الابن الذي تعلم في المدرس الوطنية كان أكثر التزاماً ورقياً علمياً وإنسانياً، بينما أخوه (فريد) الذي فضل أن يتعلم في المعاهد الأجنبية، خسر حياته لأن هذه المعاهد دفعته إلى الفساد حتى ذابت شخصيته وخسر نفسه ودينه ومجتمعه. وهذه رؤية مسبقة ومتحيزة لم يترك فيها الكاتب للقارئ فرصة التأويل والاستنتاج، فجاءت الرواية فقيرة في مضمونها ضعيفة في فنياتها.

- **مراحل تطور الرواية:**
- **يمكن تقسيم الرواية وفقاً لتطورها إلى أربع مراحل:**
- **المرحلة الأولى: مرحلة النشأة**

وتبدأ بصدور رواية التوأمان في عام ١٩٣٠م، وتليها رواية فكرة لأحمد السباعي في عام ١٩٤٨م، ورواية البعث لمحمد علي مغربي في عام ١٩٤٨م. ويمكن أن نضيف إلى هذه المرحلة رواية (الانتقام الطبعي) لمحمد الجوهري التي صدرت في عام ١٩٥٤م. وقد تميزت هذه المرحلة بطولها الزمني بدءاً من عام ١٩٣٠م إلى ١٩٥٤م. ورغم هذا الطول النسبي فقد اتسمت هذه المرحلة بقلة الإنتاج الروائي، بالإضافة إلى ضعف المستوى الفني.

- كما غلبت على هذه الروايات النزعة الإصلاحية الاجتماعية.

المرحلة الثانية: التأسيس:

- وتبدأ بصدور رواية (ثمن التضحية) لحامد دمنهوري في عام ١٩٥٩م.
- حظيت هذه الرواية بقدر من التطور الفني مما حدا ببعض النقاد إلى وضعها في مماثلة مع رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل التي صدرت مصر في عام ١٩١٤م. حيث رصد الباحثون السمات الفنية المتقاربة بين العملين. فرواية (زينب) جاءت بعد مخاض من التجارب الروائية التي شكلت البدايات الأولى. وعند صدور رواية (زينب) لمس فيها النقاد قدراً معقولاً من التطور الفني الذي أهلها لتكون الرواية الفنية الأولى في الأدب العربي، غير مغفلين ما سبقها من تجارب كرواية عذراء دنشواي. لمحمود طاهر لاشين.
- لقد لاحظ بعض الباحثين هذا التقارب في تشابه الظروف لا في الموضوع، بل من حيث المستوى الفني وفقاً للظرف التاريخي لكل رواية.
- رواية (ثمن التضحية) رواية عن المجتمع المكي في فترة ما بين الحربين العالميتين. وتظهر الشخصية الرئيسية (أحمد) بطموح عال يقوده إلى الدراسة في مصر، حيث يتعرف على فائزة، وهي فتاة مصرية، يحبها لكنه لاستطيع الاقتران بها

لأنه قد قطع وعداً لأبيه أن يتزوج ابنة عمه (فاطمة). والفرق بين فاطمة وبين فائزة، هو موضوع الرواية الرئيس، وهو في الأصل فرق بين مجتمعين في التمدن والأخذ بأسباب الفكر والثقافة والتطور. فالمجتمع المصري كان أوفر حظاً من المجتمع المكي في تلك الفترة. ففاطمة وفائزة شخصيتان أكبر من واقعهما، حيث يلعبان دور الرمز بامتياز. من هنا يتمزق أحمد بين ولائه لمجتمعه رغم ما به من ضعف واضطراب، وبين حبه لفائزة التي ترمز إلى مجتمع متمدن يقدم أفقاً أرحب للحياة. في النهاية يحسم أحمد أمره بالانتماء إلى مجتمعه على أمل الإسهام في تنميته مستعيناً بحب خاص من فاطمة التي ترمز إلى مجتمعها الذي يتطلع إلى الخروج من عزلته وتأخره.

- لا تختلف هذه المرحلة من حيث طولها، حيث تمتد إلى أواخر السبعينيات الميلادية، مع قلة الروايات الصادرة في هذه الحقبة.
- من كتاب هذه المرحلة إبراهيم الناصر الذي استهل مشواره الروائي برواية (سفينة الموتى،١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ومن أبرز أعماله رواية (غيوم الخريف، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م).
- من أبرز القضايا التي تناولها إبراهيم الناصر قضية التضاد بين القرية والمدينة، وهو تضاد مبعثه توتر القيم واختلالها سلوكياً وأخلاقياً.
- ولعل ما يميز إبراهيم الناصر أنه ما زال ينشر أعماله الروائية بدأب، ورغبة في استمرار التواصل مع قضايا المجتمع.
- امتازت هذه المرحلة بصدور أول رواية نسائية لسميرة خاشقجي في عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م بعنوان (بريق عينيك).
- أصدرت سميرة خاشقجي ١٠ روايات ما بين عام ١٩٦٣م وعام ١٩٧٣م، ومن رواياتها المهمة (ودعت آمالي، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م) و(قطرات من الدموع، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م).
- غلبت النزعة الرومانسية على مجمل إنتاجها الروائي، باستثناء رواية (قطرات

من الدموع) التي حاولت أن تعالج واقع المرأة في المجتمع ، وما تعانيه من قسوة الرجل وتسلطه عليها.

- ظهرت إلى جانب سميرة خاشقجي في هذه المرحلة كاتبتان أخريتان، هما هند باغفار، التي أصدرت رواية (البراءة المفقودة، ١٩٧٢م)، والكاتبة هدى الرشيد، التي أصدرت رواية (غداً سيكون الخميس).

المرحلة الثالثة: مرحلة الانطلاق

- تمثل حقبة الثمانينيات الميلادية نقلة نوعية في حياة المجتمع السعودي، من حيث التغير الاجتماعي، والطفرة الاقتصادية، وانتشار التعليم، والهجرات السكانية الكبيرة من القرى والهجر إلى المدن الكبرى. كل ذلك ترك أثراً بالغاً على الإنسان وثقافته. من هنا حاولت الرواية رصد هذه التغيرات، وخاصة تغير القيم في زمن الطفرة الاقتصادية التي هزت الأبنية الاجتماعية التقليدية. لقد وجدت الرواية في هذه الحقبة مادة خصبة تناولتها بشيء من الحنين إلى الماضي القريب كما في روايات عبد العزيز مشري.
- ويمكن أن نعد روايات عبد العزيز مشري مرحلة انتقال من البطء في صناعة الفعل الروائي في المرحلة الثانية إلى إيقاع أكثر تسارعاً في المرحلة الثالثة من ناحيتين؛ أولهما، التراكم الروائي الذي قدمه الكاتب، حيث قدم ست روايات خلال عشر سنوات هي الوسمية ١٩٨٦م، والغيوم ومنابت الشجر ١٩٨٧م، الحصون ١٩٩٢م، ريح الكادي ١٩٩٣م، صالحة ١٩٩٧م، وفي عشق حتى ١٩٩٦م. ثانياً، تقديمه لرؤية اتسمت بالبحث عن نقاء الإنسان في واقع متغير.
- وتبدو روايات عبد العزيز مشري للوهلة الأولى معادية للتمدن، غير أنها في حقيقة الأمر، تطرح سؤال الهوية[١٧]. فقد رمز لانهيار القيم في رواياته بأزمة العلاقة بين القرية والمدينة من حيث استقطاب الإنسان خارج فضاء حضوره التقليدي. ورغم الحضور الكثيف للمشري فقد ظل وحيداً في فترة الثمانينيات إلا إذا استثنينا رواية رجاء عالم ٤ صفر، ورواية عبد العزيز الصقعبي رائحة

الفحم ١٩٨٨، وسقيفة الصفا لحمزة بوقري ١٩٨٤، وهي تجارب لم تترك أثراً بارزاً في المشهد الروائي.

المرحلة الرابعة: مرحلة التحولات الكبرى

- من الواضح أن التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حقبة التسعينيات وما بعدها كانت عميقة الأثر في سياق المجتمع، ومن ثم في السياق الروائي إلى حد بعيد. ففي مطلع التسعينيات فوجئ العالم بغزو الكويت ووقوع المنطقة بأسرها في دوامة حرب الخليج التي ما زالت تداعياتها تتلاحق وتتجدد سياسياً وعسكرياً واقتصادياً حتى يومنا هذا؛ مما جعلها حرباً تفضي إلى حرب أخرى وربما إلى حروب أخرى. كما أن هناك حدثاً لا يقل أهمية وهو انفتاح المجتمع بشكل لافت منذ أوائل التسعينيات من خلال الفضائيات التلفزيونية والإنترنت. أما الحدث الأبلغ تأثيراً ليس على المجتمع السعودي فحسب، بل على العالم العربي والإسلامي قاطبة فهو أحداث ١١ سبتمبر في ٢٠٠١م، وما ترتب عليها من تبعات على العالم العربي والإسلامي.
- لقد بدا المشهد الروائي في هذه المرحلة مغرياً للتأمل من حيث جرأة الاختراق الفني والموضوعي، الفني من حيث التطورات الفنية التي حققتها الرواية، والموضوعي من حيث تقديم موضوعات لم تطرق من قبل أو تمثل حساسية اجتماعية غير معهودة.
- كما امتازت هذه المرحلة بدخول كتاب من غير كتاب القصة والرواية إلى عالم الرواية. فالشاعر غازي القصيبي يكتب مجموعة روايات منها العصفورية وسبعة، وتركي الحمد وهو أكاديمي وكاتب رأي يكتب مجموعة روايات منها ثلاثيته المشهورة (العدامة، الشميسي، الكراديب، صدرت ما بين ١٩٩٦م و١٩٩٨م.)، والشاعر علي الدميني يكتب رواية الغيمة الرصاصية، ١٩٩٨م.
- هذان الاسمان، القصيبي والحمد غير الروائيين أصلاً، سيبقيان طويلاً في ذاكرة المشهد الروائي، فهما اللذان صنعا إيقاع الرواية المتسارع في مرحلة التسعينيات

الميلادية، وحرضا جيلاً من الكتاب والكاتبات على جرأة غير معهودة في الطرح الروائي. فالروائي لم يعد يحاذر مخاطر الكتابة، بقدر ما يسعى إلى تقديم رؤيته بعيداً عن الحسابات غير الأدبية.

- ويشكل عبده خال في هذه المرحلة اسماً لامعاً في كتابة الرواية المختلفة ذات النكهة الشعبية والأسطورية وخاصة في روايته الأولى الموت يمر من هنا (١٩٩٥م). قدم عبده خال مشروعه الروائي الذي ازداد جرأة ونضجاً فنياً مع تزايد أعماله الروائية حتى بلغت ثمان روايات. لقد كتب القصة القصيرة وعينه على الرواية، وظل يصدر قصصه القصيرة حتى فاجأ المتابعين بكسر الجمود الروائي بإصدار رواية الموت يمر من هنا. وقبل أن يأخذنا الظن بأنها ستكون تجربة يتيمة، فإن خال اندفع يكتب رواية متطورة متوازنة بين حاجته إلى الكم من ناحية، ومراعاته للجودة السردية من ناحية أخرى حتى توجها برواية الطين (٢٠٠١م) التي تعد من بين الروايات المهمة في الرواية المحلية.
- لقد كانت مرحلة التسعينيات وخاصة أواخرها وما بعدها مرحلة روائية خصبة اندفع فيها الكتاب الأحدث سناً إلى تقديم روايات مهمة على صعيد التطور التقني من أمثال عبد الله التعزي وروايته (الحفائر تتنفس، ٢٠٠١م)، يوسف المحيميد وروايته (فخاخ الرائحة، ٢٠٠٤م)، ومحمد حسن علوان وروايته (سقف الكفاية، ٢٠٠٢م) وغيرهم. كما أن هناك كتاباً استسهلوا كتابة الرواية، فقدموا أعمالاً تتسم بالضعف الفني، ربما أغراهم على كتابتها الحضور الإعلامي الذي حظي به كتاب الرواية، بالإضافة إلى غياب جدية المتابعة النقدية. فالنقد كان حاضراً، غير أنه كان في غالبه صحفياً مجاملاً وغير جدي في طروحاته وقراءاته.

وقد وصل صدى الرواية السعودية إلى المحافل الأدبية العربية على يد كتاب هذه المرحلة، فحصل عبده خال على جائزة البوكر للرواية العربية عن روايته (ترمي بشرر) في عام ٢٠١٠م، كما حصلت الكاتبة رجاء عالم على الجائزة نفسها عن روايتها (طوق

الحمام) في عام ٢٠١١ مناصفة مع الروائي المغربي محمد الأشعري، وحصل محمد حسن علوان عليها عن رواية (موت صغير) في عام ٢٠١٧ م.

الرواية النسائية:

لا يكتمل الحديث عن تجربة الرواية إلا بالحديث عن دور المرأة في كتابتها. الرواية النسائية في المملكة العربية السعودية بدأ حضورها متأخراً عن رواية الرجل كثيراً. فالروايات الأولى التي قدمتها سميرة خاشقجي بدأت في مرحلة الستينيات الميلادية، ثم تبعتها بعض الكاتبات من أمثال هند باغفار التي أصدرت روايتها (البراءة المفقودة) في عام ١٩٧٢م، وهدى الرشيد في التي أصدرت روايتها (غداً سيكون الخميس) في عام ١٩٧٧م. وفي حقبة الثمانينيات الميلادية أصدرت أمل شطا روايتها (غداً أنسى) في عام ١٩٨٠م، ثم بدأت رجاء عالم مسيرتها الرواية التي تطورت في حقبة التسعينيات وما بعدها بإصدار رواية (٤ / صفر) في عام ١٩٨٤م، حينها تمكنت رجاء عالم من تقديم تجربة روائية مغايرة لجيلها من الكتاب والكاتبات تعتمد الفنتازيا الأسطورية، فاختلفت في تقديم تجربتها المميزة من حيث الكم وطريقة التناول وطبيعة الموضوعات الأثيرة لديها وخاصة رغبتها الدائمة في اكتشاف ميتافيزيقية الواقع إذا جاز التعبير[١٨]. فهي تنطلق من الواقع من أجل أسطرته كما في رواية (مسرى يا رقيب، ١٩٩٧م)، أو في رواية (خاتم، ٢٠٠٣م).

ويمكن للقارئ أن يتوقف أيضاً أمام التجارب الأحدث مثل تجربة ليلى الجهني في رواية (الفردوس اليباب، ١٩٩٨م)، ورواية نورة الغامدي (وجهة البوصلة، ٢٠٠٢م)، ورواية مها الفيصل (توبة وسُليى، ٢٠٠٣م)، ورواية نداء أبو علي (مزامير من ورق، ٢٠٠٣م)، ورواية رجاء الصانع (بنات الرياض، ٢٠٠٥م)، ورواية بدرية البشر (هند والعسكر، ٢٠٠٦م)، ورواية أميمه الخميس (البحريات، ٢٠٠٦م)، وغيرها من التجارب. لقد استطاعت هذه الروايات وغيرها أن تتطور فنياً وأن تنفتح على كثير من القضايا الاجتماعية التي تخصها كإنسان يرى أن حقه يتعرض للمصادرة والتهميش.

غير أن أكبر مشكلة واجهتها الكاتبات هي عدم قدرتهن على تجاوز موضوع الرجل

في الرواية[١٩]. لقد جاءت معظم الروايات تحمل هم الرجل، ساعية إلى تحميله مسؤولية كل أزماتها الوجودية، الإنسانية والشخصية، بل إن كثيراً من الكاتبات، من أمثال أمل شطا ونورة الغامدي ورجاء عالم (الفائزة بجائزة البوكر العربية عام ٢٠١١) وبهية بوسبيت وغيرهن، طرحن في رواياتهن أن لا وجود للمرأة إلا في غياب الرجل. وهذه الرؤية رؤية معطلة للحياة، وغير إنسانية. غير أن المرء بمقدوره تفهم هذه النظرة السوداوية إذا ما أسند خلفيات هذه الروايات إلى واقع المرأة في مجتمعها، حيث تعاني التهميش والحرمان من حقوقها التي كفلها لها الإسلام، ديناً وحضارة.

المرحلة الخامسة: مرحلة الرؤية (رؤية ٢٠٣٠)

منذ انطلاق رؤية المملكة العربيَّة السعوديَّة، التي اصطلح عليها بـ(رؤية ٢٠٣٠) في ٢٥ أبريل ٢٠١٦، أخذ كثير من مظاهر المجتمع في التغير والتطور، وإحداث نقلة نوعية تختلف عما سبق هذا التاريخ، وهو تغير بدا جذرياً، وأثَّر في حركة الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، ونقل المجتمع من بطء الحركة إلى لحظاتٍ أكثر تسارعاً، ومن يقرأ ملامح الرؤية المتعددة، سيلحظ ملمحين أساسين:

أولهما، تمكين المرأة:

وهو مفهوم يتعلق بتغير الصورة النمطية عن المرأة السعودية، ويقدمها بوصفها شريكاً كاملاً في تنمية الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وسن قوانين تمكنها من المشاركة المجتمعيَّة، مثل تمكينها من قيادة السيارة، وتمكينها في مجالاتٍ مختلفةٍ في سوق العمل، وتمكينها من السفر والحصول على مناصب عليا تجسد من خلالها كفاءتها العلميَّة والمهنيَّة.

وثانيهما، جودة الحياة:

وهو برنامج شامل لبلورة صيغ جديدةٍ تحقق الرفاهية للمجتمع بكافة أطيافه، (برنامج يُعنى بتحسين جودة حياة الفرد والأسرة من خلال تهيئة البيئة اللازمة لاستحداث خيارات جديدةٍ تُعزّز مشاركة المواطن والمقيم والزائر في الأنشطة الثقافيَّة والترفيهيَّة والرياضيَّة والسياحيَّة، والأنماط الأخرى الملائمة التي تساهم في تعزيز جودة الحياة، وتوليد الوظائف،

وتنويع النشاط الاقتصادي، وتعزيز مكانة المدن السعودية في ترتيب أفضل المدن العالمية).

وهذان الملمحان يتماسَّان مع الأدب من زوايا مختلفة، فالأديب جزءٌ من واقعه، وهو يتفاعل مع التحولات، وتتجدد منظوراته، والرواية من أكثر الأشكال الأدبية قدرةً على استيعاب التحولات والبناء عليها وتوظيفها، ويمكن أن نجد كثيراً من المظاهر السيمائية في روايات هذه المرحلة تعكس احتفاءها بالمتغير الاجتماعي وخاصة المرأة، والراصد الأدبي لهذه التحولات يترقب كثيراً من الأعمال التي تستوعب المتغير وتعيد توظيفه.

ويمكن أن ندلل على روايات هذه المرحلة برواية (فوضى العودة) لأثير النشمي حيث ترصد الرواية أثر التحول الاجتماعي على حركة الأفراد. ومنها رواية (هل كان حباً) للكاتبة جولدي أحمد، ويظهر فيها تجليات تمكين المرأة مثل القيادة السيارة وتوسيع فرص عمل المرأة. وليست رواية مريم باحمدين (قيثارة وعود) ببعيدة عن رصد هذه التحولات. غير أن المؤكد أن تجربة الرواية والأدب عموما ما تزال في بداية تشكلها فيما يتعلق بتوظيف التحولات الاجتماعية والاقتصادية في مرحلة رؤية ٢٠٣٠، ومن الضروري ألا يكون الانفعال بالظاهرة لمجرد التجسيد الخارجي، بل من الضروري أن تتغلغل التجربة إلى منظور الكاتب. كما أن الآداب والفنون هي آخر أفعال الإنسان تأثراً بما يجري حوله، لأن القضية ليست في التأثر المجرد، بل تحول هذه المؤثرات إلى منظورات فلسفية تنفذ إلى جوهر التحولات. وبهذا فالآدب والفنون تحتاج مسافة زمنية لاستبطان الظواهر والتعبير عنها.

الهوامش والمراجع

١ الحامد، عبد الله. الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ). المدينة المنورة، نادي المدينة المنورة الأدبي، (ص ٥١).

٢ الساسي، عمر الطيب. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي. جدة: مكتبة دار زهران جدة، ط٢، ١٩٩٥م، (ص ٥٠).

٣ لمعرفة المزيد عن تاريخ مجلة المنهل والدور الأدبي الذي قامت به في نهضة الأدب في المملكة، انظر كتاب الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، (ص ٥٢ - ٦٠).

٤ الساسي، عمر الطيب. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، (ص ٧٧).

٥ الحامد، عبد الله. الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، (ص ١٤).

٦ الساسي، عمر الطيب. الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، (ص ٧٧).

٧ المصدر السابق، (ص ٧٨).

٨ المصدر السابق، (ص ٨٨).

٩ الحامد، عبد الله. الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، (ص ١٠٩)

١٠ الحامد، عبد الله، (ص ١٠٩).

١١ المصدر السابق، (ص ٩٠).

١٢ المصدر السابق، (ص ٩٠ - ٩١).

١٣ المصدر السابق، (ص ٩٨).

١٤ الهاجري، سحمي. القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. الرياض، نادي الرياض الأدبي، ١٩٨٧، (ص ٥٤).

١٥ المصدر السابق، (ص ٦٣).

١٦ المصدر السابق، (ص ١٥٦).

١٧ النعمي، حسن. رجع البصر: قراءات في الرواية السعودية. جدة: نادي جدة الأدبي، ٢٠٠٤، (ص ٧٢).

١٨ المصدر السابق، (ص ١٥).

١٩ النعمي، حسن. الرواية النسائية بين شرطين، محاضرة ألقيت بنادي تبوك الأدبي في ١٩ / ١١ / ١٤٢٨هـ.

مختـــــارات شعـــريـــــة

جـــدّة*

شعر: حمزة شحاتة

النُّـهَـى بـينَ شَـاطِـئـيْـكِ غَـريـقُ ... والـهَـوَى فـيـكِ حـالِمٌ، مـا يُفيقُ
وَرُؤَى الحُـبِّ في رِحـابِـك شتّى ... يَـسـتَـفِـزُّ الأَسـيـرَ منها الطَّليقُ
وَمَغانيكِ، في النّفوسِ الصَّدِيات ... إلى رَيّـهـا المَـنِـيـعِ، رَحـيـقُ (١)
إيـــهِ، يـا فِـتـنـةَ الحَـيـاةِ لِـصَـبّ ... عَـهـدُهُ، في هَـواكِ، عَـهـدٌ وَثيقُ (٢)
سَـحَـرَتْـه مَـشـابـهُ، مـنـكِ للخُلدِ ... وَمَـعـنًى، مـن حُسنِه، مَسروقُ
كَـمْ يَـكُـرُّ الـزَّمـانُ، مُـتَّـئِـدَ الخَـطْـوِ ... وغُـصْـنُ الصِبّا عليكِ وَريـقُ ! (٣)
ويَـذوبُ الجَمالُ، في لَهَبِ الحُبّ ... إذا آبَ، وَهْـو فـيـكِ غَـريـقُ
عُدتِ مَلفوفةً به، في دُجَى اللَّيلِ ... وقـد هَـفْـهَـفَ الـنَّـسـيـمُ الـرَّقـيـقُ
مُقْبلاً كالمحِبِّ، يدفُعه الشَّوْقُ ... فـيَـثـنـيـه عـن مُـنـاهُ الـعُـقـوقُ
حَـمَّـلَـتْـهُ الأمـواجُ أُغنيةَ الشَّطِّ ... فـأَفـضَـى بـها الأَداءُ الـرَّشـيـقُ
نَـغَـماً، تُـسْـكِـرُ الـقـلـوبَ حُـمَـيَّـاهُ ... فـمـنـهُ صَـبـوحُـهـا والـغَـبُـوقُ
فيه، من بَحرِكِ، التَّرفُّقُ والغُنْفُ ... و مـن أُفْـقِـكِ المَـدى والـبَـريـقُ (٤)
ومن اللَّيلِ، صَمتُه المفعمُ النَّفسِ ... لُـغـزٌ، زانَـهـا الخَـيـالُ العميقُ
ومـن الـبـدرِ، زَهـوُهُ وسـنـاهُ ... راويـاً عنهما الفَضاءُ السَّحيقُ
قِطعةٌ، فَـذَّةٌ من الشِّعرِ قد أَلَّـفَ ... أَشـتـاتَـهـا نِـظـامٌ دَقـيـقُ

* * *

(١) الرُّؤَى: جمع رُؤْيا ، ما يُرى في النوم. يستفزّ : يثير.
(٢) الصَّديّات : جمع صَدٍ، وهو شديد العطش. والصَّدى : العطش الشديد.
(٣) مَشَابه : جمع شَبَه (على غير قياس) وهو بمعنى الأشباه.
(٤) الحُمَيّا : الشِّدّة والحِدّة . الصَّبُوح : شراب الصَّباح . الغَبوق : شراب الماء.
* من ديوان (حمزة شحاتة).

أنتِ دُنيا، رَفَّافَةُ بِمُنَى الرُّوحِ ... وَكَوْنٌ بالمُعجزاتِ نَطوقُ
رَضِيَ القَيْدَ في حِماكِ فؤادٌ ... عَاشَ كالطَّيرِ دَأْبُهُ التَّحليقُ
ما تَصَبَّتْه قبلَ حُبِّكِ يا جَدَّةُ ... دُنيا بِسِحرِها، أو عَشيقُ
حَبَّذا الأسْرُ هواكِ حَبيباً ... بِهَوَى الفكرِ والمُنَى ما يَضيقُ
مَنْهجي فيهِ مَنهَجُ الطّائرِ الآلِفِ ... يَنْزُو بهِ الجَناحُ المَشوقُ (١)
فإذا هَمَّ أشغَلَتْه فُروضٌ ... من هَواهُ وأثقلَتْه حُقوقُ
جدَّتي، أنتِ عالَمٌ الشِّعرِ والفِتنَةِ ... يَروِي مَشاعري، وَيَروقُ
تَتَمشَّى فيكِ الخَواطرُ سكرَى ... ما يُحِسُّ اللَّصيقَ، منها، اللَّصيقُ
كلُّها هائمٌ بعالَمِه المخمورِ ... يَهفُو بهِ شَذاهُ العَبيق
تَتَجافَى، ما يألَفُ الخاطِرُ الخاطِرَ ... فيهِ، ولا تَدينُ الفُروقُ
فإذا أومضَ الخيالُ بذكراكِ ... تداعت، بعضٌ لبعضٍ يَتوقُ (٢)
وَحَّدَ الحبُّ بينَها سُبُلَ الحبِّ ... فما عافَ سابقاً مَسبوقُ

***

جدَّتي، لا الَّتي يُحِبُّ الخَلِيُّون ... شقاءٌ عَذبٌ، وأَسرٌ أَنيقُ
وصِراعُ بين الحِجَى والأماني ... يُطْلِقُ الحسَّ، تارةً، ويَعوقُ
وسُهادُ، يَهيمُ في تِيهِهِ العَقلُ ... ويعَمَى عن هَديِهِ التَّوفيقُ
وصَدًى، ما يَبُلُّه الوَاكِفُ الهامِي ... وَقلبٌ، لم تَسْتَثِرهُ الُبروقُ (٣)
أنتِ مُرتادُ وحدَتي، إنْ تَبَتَّلْتُ ... وإنْ شئتُ، عالَمٌ مطروقُ
لِيَ ماضٍ، لم أَنْسهُ، فيكِ قَدْ غَضَّ ... بشَجْوٍ، غُروبُهُ والشّروقُ

(١) ينزو : يثب ، يثور ، يتحرك . المشوق : المشتاق.
(٢) تداعى : دعا بعض بعضاً إلى اجتماع.
(٣) الواكف : المتقاطر ماؤه.

تتناجَي أَصـداؤُه، في رَوابِيكِ ... إذا عـادَها الخيـالُ الـطَّـروقُ

مُـعْـوِلاتٍ، أَلْـوى بمطلَبِها الأيْـنُ ... فـأنـفـاسُـهـا عـلـيـه شَـهـيـقُ

مثقلاتٍ حيرَى، تُطِيفُ بها الوَحْشَةُ ... والـضـعَّـفُ عـاجـزٌ، مـا يُطيقُ

كيفَ أُنسيتِه، وضيَّعت ذِكراه؟ ... وهـل يُسِلـمُ الـرَّفيـقَ الـرَّفـيـقُ؟

أَهُوَ الغَدرُ ميسَمُ الحُسنِ في شَرعِكِ ... والـعَـهـدُ في هـواك عـقـوقُ؟

حَبَّذا أنتِ، لو وَفَيْتِ وأجْملْتِ ... ولم يُـنْـتَـهَـكْ لَـدَيـكِ الصَّـديقُ

فوفاءُ الحبيبِ أسمى مَعاني الحُسنِ ... والـطُّـهـرُ بـالجَـمـالِ خَـلـيـقُ

لا تكوني خـوّانَـةً يُـطَـلُ الـدَّيْـنُ ... لـديـهـا، ولا يَـفُـوزُ الـسَّـبُـوقُ (١)

أو تَمُنِّي النُّعمى عـلـيَّ، فماً آلم ... عـيـشـا يـضْـوَى بـه المـرزوقُ (٢)

أكذا أنتِ للنَّقائصِ وِردٌ يَستوى ... عـنـدَهُ الـتُّـقـى والـفـسـوقُ؟

بينَ مَن تمنحِيهِمُ وِرْدَكِ السّائغَ ... قـومٌ، وِدادُهـم مَـمْـذوقُ (٣)

مِـن مياسيرَ جاهلينَ أضاعوكِ ... وكـلٌّ بـمـا يَـشـيـنُ عَـلـوقُ (٤)

ومهازيلَ، كالضَّفادع في الظُّلْمةِ ... أَقـصـى مـا يستَطِعْنَ النَّقيقُ

قـادَهـم أَخـرقُ الخطى للدَّنايا ... وهْـو فيهِمْ، بما جناهُ، مَسوقُ

وشبابٌ، غِراسُهُ ما زَكَت فيكِ ... -ولا غَـرْوَ- فالغِراسُ العُروقُ

لَعْلَعَتْ صرخةُ النُّهوضِ حَوالَيْكِ ... وأصـواتُـهـم لَـدَيـكِ نَـعـيـقُ

---

(١) السَّبوق : مبالغة في السَّابق.

(٢) يَضْوَى : يَضعُف ويَهزل.

(٣) مشوب ، مخلوط بغيره ، غير صاف.

(٤) جمع موسر وهو الغني ذو اليسار.

ومشى النَّاسُ للجهادِ مُغذّينَ ... فهل نَصَّ ناعقيكِ طريقُ؟ (١)

مَنْ لَهُم بالطُّموح، والجِدُّ ما أَضْنَكَ ... مسعاهُ، والحياةُ مَضيقُ؟ (٢)

هُم أُسارى مَناعِمِ العيشِ والحَقُّ ... عليهم، مما أُذيلَ، حَنيقُ (٣)

كَمْ مُعَنًّى مِثلى، يُطارحُكِ الحُبَّ ... فينُبو بهِ السَّبيلُ الزَّليقُ! (٤)

وَدَعِيٍّ، يَصْطَكُّ في فَمِه القَوْلُ ... عِثاراً، مكانُهُ مَرموقُ

أمِنَ العدلِ أن يُشاكِلَني فيكِ ... جَبانُ، عمَّا أُريغُ فَرُوقُ؟ (٥)

وَقُصاراهُ، في هواكِ هَواناً ... أملٌ ضارعٌ، ووجهٌ صَفِيقُ

لا تَلومي، على عتابِكِ، حُرّاً ... قَلبهُ، منكِ، بالجراح شَرِيقُ (٦)

أنا للجِدِّ - والهَوى يُؤْثرُ العِزَّ ... وَغَيري لغيرهِ مَخلوقُ

والغرامُ المباحُ شرُّ الجِناياتِ ... فهلْ يَقنَعُ الجَمالُ النَّزوقُ؟

***

(١) المغِدّ : المسرع . نَصَّ : أظهر ، أبان.

(٢) أضنك : أتعب ، وضيّق.

(٣) أذاك : أهان وانتّهك . حنيق : مغتاظ ، غاضب.

(٤) العنَّى : العذّب.

(٥) الفَروق : الشديد الفزع.

(٦) الشريق : الغاصّ بالماء أو بِريقه.

جنتان *

شعر: محمد حسن عواد

لا تـخـالى، ومـا أظـن تـخالى ... زائـفـاً ذلـك الـغـرام وفرصـاً (١)

طـويـت أضلعي عليه، وناجاك ... فـــؤادي بـــه زمـــانـــاً تـقـضـى

أنـــا واللّه يـا حـبـيـبـة نـفـسـي ... بين أيديك كالحسام وأمضى

كالمنى السانحات، بـل كإشارا ... تـك لـلأمـر، كـالأسـيـر الـرقـيـق

فثقى بـي، يـا رهـرةَ الأسـحـار

***

يـا فـتـاتـي الـتـي مـــآلى إلـهـا! ... كلما يجدب الفؤاد المعذب

ألاني أعطيتك القلب أشقى؟ ... أم لأني وهبتك العمر أغلب؟

ليس مناً أني وهبتك في الحب ... النزيه الكنز الذي ليس يوهب

وحـيـاتـي وقـف عـلـيـك، وأني ... أنا ذاك الملقى سدى في الطريق

قـلـق الـنـفـسِ لا يـقـر قـرارى

***

أشعر الصب، يا جميلة، أن الوصلَ ... مـن حـقـه مـتـى مـا أراده

ثـم قـولى لـه: اتـخـذتـك خلا ... خالصاً، مفرد الهوى، وزيادة

---

(١) اسقطت نون (تخالى) الثانية عمداً للتخفيف على مذهب القائل:

أبيت أسرى وتبيتي تدلكي ** شعرك بالعنبر والمسك الذكي

* من ديوان (نحو كتاب جديد)

وهنا يعرف الحياةَ، وتأتي مذعنات له دواعى السعادة
وينناديك: يا نعيمىَ، يارو حىَ يا سكرَ فكرتي، يا رحيقي
يا حياتي، يا جنتي، يا نارى!

***

يا لبئس الجفاء؛ لو لا شعور القلب في غمر الهوى -بالرجاء
ولنعم الرجاء، لولا نداء الفكر : إن الهوى مناط الشقاء
ثم يا حبذا الهتاف بأسمائك بين النعيم والبأساء
فاسلمى لي - في غبطتي - يا روائي حين تلقيني بعطف الصديق
وارقبيني - في شقوتي - يا أوارى

***

أنت يا منتهى الجمال، ويا (فينوس) في الحب، أو على غير حب
والسماوات موطن الفتن العليا فآلت للكوكب المطروق
أنت منها منها يا فتنة في إطار

***

لك نفسي، وكل ما فوق نفسى من حياتى التي من النفس أبقى
ولنفسى، كما ترين، صفاء ودوىٌ، إن تأت عسفاً ورفقى
تعلمين -بعد - انسجاماً وسطوعاً مع الوضوح وعمقاً
كالحيا الطلق، كالرعود، كأعضائك كالنجم، كالخضم العميق
فخذيها عصارة الأزهار

***

يا هدى، يا ضلالُ، يا سحرُ، يا فتنة ... يا وحيُ، يا سنا، يا سناءُ!
يا رجاءَ المحب، يا حلمَ الشاعر ... يا همسةَ المنى، يا هناءُ
يا عذابَ الضمير، يا قلقَ الخاطر ... يا عودةَ الهوى، يا سماءُ
يا لحونَ العواد، يا نمطَ الفنان ... يا حيرةَ الفتى المنطبق
... يا تجلى الإله يوم القرار
... يا تجلى الإله يوم القرار

***

يا نجاتي من الجحيم إذا ما ... دهمتني لوافح من جحيم
أنت والشعرُ كوثرى العذبُ ما ... قدمت لى الحياةُ كأسَ الحميم
منقذاً نفسى الأليمة حتما ... من همومي، وتارة من سمومي
أنتما جنتا غرامٍ، وفنٌ ... فانصراني فإن جرم عقوقي
... إن أتى منكما فشر الخسارِ

عندما ينكس الهام * !!

شعر : حسن عبد الله القرشي

أُحسُّ الملوحةَ في شفةِ الشمس
ما زال في فمى الملحُ والنار
ما زلتُ حرَّان لم أرتفقْ

***

ومازلتُ أعبرُ جسرَ المسافات
مُنزلقاً في حوافر خيل الملائك
أسأل مجمرتي حائراً عن مسارِ العبق

***

ونهرُ الشعاع الذي انداح من غرة الفجرِ
يغمر دنُيا الكآبة
وانشقَّ من كبدِ الأفق
قد ذابَ
في ترّهاتِ الشَّفَق

***

أُحسُّ الملوحةَ
أنسى انتمائي لليل

* من ديوان (زخارف فوق أطلال عصر المجون).

ينحسرُ الحلم
ينكسر السيف في الغمِد
تعرى البحيرةُ
تسدُر كلُّ الظنون

***

تُحاصرني أعينُ المتبعينَ الحيارَى
تجلِّلني بقتام المآسي الكبار
تجلدني عارياً في النَّهار
ضعيفاً على القيدِ

***

تسحقني قبضةُ اليأس
يلفظني موكبُ الساخرين !

***

وتجهشُ في خافقي النار
أصرخ ألتاع وحدي
أشرُد في صخب الغاب وحدي
أمشي على الماءِ مَشْيَ الطعين !

***

رضعناه تيهاً وقهراً
مضغناه جمراً
ولما نزلْ رهن مفترق الغيب

عشنا ظلال الكآبة

لما يزل طيفُها

سُجفُاً تتحدَّى !

* * *

أكادُ، أكادُ أرى

بركاتِ السحائبِ

عطرَ السماوات

أشرعةَ الخصبِ

تمضي غُباراً

وترسُم لَحْدا !

* * *

مَتى يورقُ الصَّخرُ ؟

يخضلُّ وادي المروءات بالفجر ؟

يركض ظلُّ الحدائق ؟

ينسكبُ الرمْلُ عُشْباً ؟

ويندى ؟ !

* * *

ضرب من العشق *

شعر: غازي القصيبي

* فى الجسر بين المملكه العربيه السعودية ودولة البحرين:

ضربٌ من العشق .. لا دربٌ من الحـــجَرِ
هذا الــذي طــار بالــواحــاتِ للجُــزُرِ

سَــاقَ الخــيــامَ إلى الشطآنِ .. فانــزلقتْ
عــبر المياهِ شــراعــاً أبيــضَ الخــفَــرَ

مــاذا أرى؟ زورقــاً فى اليّــم مندفعاً؟
أم أنــه جمــلٌ مــا مــلَّ مــن ســفَــرِ؟

وهــذه أغــنــياتُ الــغــوصِ فى أُذُني؟
أم الحُــداةُ شــدوا بالشعرِ فى السَحَرِ؟

واستيقــظتْ نخــلةٌ وسنى .. توشوشنى
" من طــوّقَ النخلَ بالأصدافِ والدَرَرِ؟ "

---

* من ديون (العودة إلى الأماكن القديمة)

نسيتُ أين أنا .. إنّ الرياضَ هُنا
مع المنامةِ مشغولان بالسَمَرِ

وهذه جدّةُ جاءت بأنجُمها؟
أم المحرَقُ جاءَتنا مع القمرِ؟

أم أنّها مسقطُ السمراءُ زائرتي؟
أم أنّها الدوحةُ الخضراءُ فى قطرِ؟

أم الكويتُ التى حيّتْ فهِمْتُ بها؟
أم أنها العينُ؟ كم فى العينِ من حورِ

بدوٌ وبحارةٌ.. ما الفرقُ بينهما
والبرّ والبحرُ ينسابانِ من مضرِ؟

خليجُ ! إنّ حبالَ اللهِ تربِطنا
فهل يُقَرِبنّا خيطٌ من البَشَرِ؟

١٩٨٢م
١٤٠٢ هـ

الأسـئلة *

شعر : محمد الثبيتي

أقبلوا كالعصافير يشتعلون غناءً
فحدقت في داخلي
كيف أقرأُ هذي الوجوه
وفي لغتي حجرٌ جاهليْ؟

* * *

بين نارين أفرغتُ كأسيَ . .
ناشدتُ قلبيَ أن يستريحْ
هل يعودُ الصِّبا مشرعاً للغناء المعطَّرِ
أو للبكْاءِ الفصيح؟

* * *

لو جرحتُ ذراعيَ ما ابتلَّ كفي ولا معصمي
أيها النازلون فؤاديَ
هل صار نوراً دمي؟

* * *

- قل لليلى تجئ صباح الأحدْ
- إنها تقف الآن بين الزُّلال وبين الزبدْ
- قل لها:

---

* من ديون (شعر محمد الثبيتي)

ظاهر الماء ملح وباطنه من زبدْ

قل لها:

أنتِ حلٌّ بهذا البلدْ

أنتِ حلٌّ لهذا الولدْ

* * *

- كم هي الساعة الآن يا قائماً للصلاه ؟
- قل هي الآن واقفة . .
- قل تشير إلى نفسها
- كيف تغدو المدينة لوجف ماء الحياه ؟

* * *

حسناً أيها الفارسُ البدويْ

هل تجرَّعتَ حزنَ الغداةِ

وصبرَ العشِيَ

أرى وجَهكَ اليومَ خارطةً للبكاء

وعينك تجري دماً أعجميْ

* * *

طريقٌ طويلٌ .. إليك *

شعر: ثريا العريض

كم توقفتُ خائرةً
أتساءلُ بيني وبيني عنك
" ... كيف أعشق فيك العذاب..؟ "

* * *

كم توقفتُ حائرةً
إذ يسائلُني عنك صوتٌ مريب:
" ... تحبِّينه؟ .. وكيف الموتُ يُحَبّ .. ؟ "

* * *

العيونُ التي نبعُها ولَّد الحلمَ قد نضبَت
والنخيلُ تصارعُ باحثةً عن تراب ...
والزهورُ تموتُ اختناقاً بِأرضٍ بوار
والمنَى شحبَت ..

* * *

أحبُّكَ .. ؟ كلُّ وجودي أنت !
بكل جفافك .. كلِّ الغبار ..

---

* من ديون (ثريا العريض)

فيك العيونُ التي سكنَتني تظل !

والوجوهُ التي سكبَت بِلامحِ وجهي

انعكاساتِ أشجانِها .. لم تزل !

همومُ الصغار ..

غضونُ الكبار ..

* * *

نائمُ أنت عنَّا .. متى تستفيق؟

تعرفُنا .. وتنادي بأسمائِنا

بِصوتٍ رقيق .. ؟

* * *

نحنُ أيضاً بَنوك

سادرٌ أنتَ عنَّا ونهواكَ

نحلمُ أن سيكون غداً

يومَ عيدٍ نلاقيكَ فيه

نرَى فيه وجهَك .. وجهَ محبٍ حنون

* * *

نحن أيضاً ورثناك

لكننا لم نرِث منك إلا شقاءَ الطريق

فمتى نلتقي ..

لِترفع عنا ستارَ السكوت .. ؟

وتفتح صدرَك كي نحتمي من هَوانِك فيه .. ؟

لكَ يا وطني لهفةُ الحبِ

حين بِأعماقِنا يتمادَى اشتياقُ النهار

وتطفحُ أغنية من بقايا زمانٍ عتيق

روعةً .. حلماً .. بأعينِنا لا يموت

بِأعينِنا لا يموت

بِرغم اليباب

***

بَوارٌ ..

ولكنَّنا بِانبعاثاتِه نتحدَّى البَوار

دَوارُ ..

ولكنَّننا لِعيونك لا يعترينا الدَوار

لك أغنيةُ الحزنِ ..

أغنيةُ السعدِ ..

أغنيةُ الانتظار

أغنيةُ الأملِ المتولِّد تحت الجفون ..

***

كلُّ الذي كان منّا

وما لم يكن منكَ .. أو سيكون

نغفرُه ونمسحُ عنك التعب

همومُ زمانٍ غريبٍ .. كئيبٍ .. خَؤون !

لك إن شئتٍ حتى اندلاعُ الغضب

وحبٌّ كبيرٌ .. كبير

تمادَى لأقصَى حدودِ الجنون ..

***

طريٌق طويلٌ .. إليك

أقدامُنا يعتريها الكلَل

وحتى السرابُ الذي نستضيئُ به يلتهِب

***

طريقٌ طويلٌ .. إليك

عبرَ الشرايين مشحونةً بالأمل

ولا بد يوماً نَصِل

.. رغم الليالي الشحيحةِ

.. رغم التخاذلِ .. رغم التساؤلِ

رغم سقوطِ البراعمِ

رغم الوجَل ..

***

على الدربِ نبقَى

على الدربِ حتى نلاقيك سوفَ نَظلّ

ولا بد يوماً ترانا

تنادي بِأسمائنا

ولا بد يوماً .. نَصِل !

***

الظهران ١٩٨٩

العقد الثالث *

شعر: أحمد البوق

مطرُ، لستُ أعْنِي المطرْ
كان يهْمِي هادئاً
حبّاتُهُ كـــالبَرَدْ
واللّيلُ، مُرْتَعِدُ في الشتاءْ
النوافذُ، لم أُحْكِم الآن إغلاقَها
والسماء، عاليهُ كالسماءْ

* * *

كان هطولُ النهايات صعباً
وكنتُ وحيداً
لم أحْتَم بشِرَاعِ السَّريرْ
لم أَحْتَمِ بـالجدارْ
ولا بدفء العبارت حين تمرُّ على خـاطِري
كنتُ مثلَ القمرْ
حين تفاجئهُ بالنّهارْ
حزينُ على الرّغمِ مني

* من ديوان (منكسر باعتداد).

ومنكسرٌ باعتدادْ

وفي خلسةٍ من زَوَايا المكان

يلمُّم شتائي مقعدُ من خَشَبْ

ليس عندي كُتبْ

ليس عندي وَرَقْ

ولم أسْتطعْ أن أُحيلَ الدمّـــاَء

التي تسيلُ بطيئاً بكل مساربِ قلبي لِحِبْر

كنتُ ذلك الذي

كُلَّما اهتزّ ضوءُ الشموع

مرتعشاً في الجدارْ

كنتُ ذلك الغِبارْ

وكان المطرُ داكناً

والوردُ في غرفتي يَحْتضِرْ

وعلى كَتِفي ..

ثلاثون عاماً مِنَ الانْتِظَارْ

الخبت *

شعر: علي الدميني

" وظلم ذوي القـــربى " بلادي حملتها على كتفي شمساً وفي الروح موقدي
اذا جفّ ماء القــطر أسقيت غرسها بدمعي، ووجّـهـت الـزمـام لتهـتدي
الى الماء أحـــدو خطـــوهـا كل بارقٍ أشدّ على غـاباتها الـــريح في يــدي
مسيـلاً هبطـنا ليلتيـــــن وربـــوة تُباعـــد عن عيني بلادي ومولــدي

أنشدت للرعيان ثوب قصيدةٍ في البَرّ
عاقرني الفؤاد على النوى
وتباعدت نوقُ المدينةِ عن شياهيْ
آخيت تشرابي الأمور بنخلةٍ
وغرست في الصحراء زهو مناخي
" لا تقرب الاشجار " ألقاها الكثيب عليّ
أرّقني صباحي
لكنَّ قلبي يجمع الأغصان، يشرب طعمها
ويؤلّف الأوراق في تنُّورِ راحي
" لا تقرب الاشجار " غافلني الفؤاد فمسّها،
وهبطت من عالي شيوخ قبيلتي أرعى جراحي

* * *

* من ديوان (رياح المواقع).

هذا بياض الخبت، أهمزُ مهرتي للبحر

أرسنها إلى قلبي، فتجتاز المسافة

حجرٌ على رمل المسيرةِ، هودجٌ، حِمْلٌ

وأغصانٌ من الرمان، هل تقفز؟

دعاني عُرْفُ ثوب البحر، أفرغت الفؤاد من المخاوف وانهمرت

إلى مسيل الخبتِ،

يا ابن العبد أَلْقِ الىَّ أدوية البعير فإنني

سأُنسَّقُ الأورامُ.

أستلُّ الجراح من التفُرد والزَّهادة.

وأضمّ هودج خولة القاسي، أزيِّن وحشة الممشى

بعقدٍ

أو قلادهْ.

***

هذي بلادي لم أكن أغتابها في الليل،

بل أهذي بوقع تَحرُّكِ الرعيان في عرصاتها البيضاء،

أفردها لهمس الريح

ألبسُها شتاءً،

ألتقي والماء في مرعى الطروشِ

وأبتني قصراً من الصفصاف،

قد أهذي

فإنَّ لكل عاشقةٍ شهادهْ.

أفردت يا ابن العبدِ قامت " ريحة " الجَرَبِ الجديد

من البعير

فلا يلُمْك أخوك

ما فرّطت في شَرَف القطيعِ،

ولم تبعْ تيساً بناقةْ.

سلبوك ماء " الحِسيْ " والخِذْرَ المريح،

وما سلبت الابل مرعاها

ولا الصحراء ألقت في حشاياك البلادةْ.

مولايَ يا ابن العبدِ

يا طرفة المفردِ

هل كنت تبغي الودَّ

أم كنت لا تَقصُدِ

قلبي على قلبك

وحقولنا تُحصد

من زهرةٍ في الشيح أقرأ فتحة الأبواب .. أرصد ما لكفك من مثالب

وأغذُّ في الدهناءِ سير المهرةِ البيضاء

أرقتُ ذكريات طفولةِ الأجداد،

رائحة الحليب ولذعة الأقِطِ البهيِّ،

وصوتَ طُرقةَ تائهاً في الريحْ

مستمسكاً بالشيح

والخاتمِ الأبيضْ.

في الشارع الخلفي

كان المدى خلفي

والوجه في الحائط

(يا الله على المشى

بكره نصوب الخبت

والبحر ذا حائط)

غَرسَتْ على صدري

بقميصها الصدري

وشماً لريح البحر

وغدائر الليمون

حبيبتي أمّون

(وجهك من الكادي

ذا في الصُدُر يطرون

يا قلب وقَّف بي

ما أقدر على المندار

والله ما لي شَفّ

في كادي الديره

ما دام هـــذي الكف

ما لمّست أمـــــون).

في الشارع الخلفيّ واجهت البعير يشمّ " عرفَجَةً " تيبّس طلعها

ويدور في الطرقات ملتهما بقايا الناس، والأطفال،

يا جملَ العشيرة

هل غُرْبَةُ نفقت؟

هل طَلْعَةُ نبتت؟

أم جئتَ تبحثُ في تراث الناس عن جَدَثٍ

وتحفر في الطريق ملاذةً للروح

أين مرابضُ العربان؟

أين مباهجُ الصحراء والفتيان، والرمل الذي افردت

يا وجعَ العشيرة؟

غطى على عينّي ماءُ العينِ

إفْرادُ المحب، ولوعةُ الوسنان

إلقاءُ العشيق بباطن الافراد،

أمّون التي أهوى،

وألحان البحار البِيْض

طرفةُ هل أتى جَرَبٌ فغطَّى الناس؟

أم رحمتك صحراءُ البلادِ بدفئِها في البرد؟

إن الدّهرَ غاشية، ووجهُ الشارعِ الخلفيّ لا يشفيك من دَرَنِ التفرُّدِ والبداوةْ

هذا نهارٌ أنت ترمقه وهذي حارة في الأرض،

ليست رقعةً في البر

هل تقدم؟

أقدم فذا وطني،

وذي الصحراء أجمع طيرها في القلب

التحف السماء وأشرب الأيام

أعصر منحنى الأوجاع

تفردني

فأعشقها

وتلمسني

فأقربها

وتنحسر العداوة

لخولة أطلالٌ، أجوس زواياها، ببرقة ثهمد

إذا افردتني الأرض جاوزت للغد

أبوح بطعم الحب أقتات موعدي

أعاتب أحبابي، بلادي بفيئها

وأهلي وإن جاروا عليّ فهم يدي.

البكاء على صدر امي *

شعر: محمد العيد الخطراوي

أماه .. ! أنهكني الـدُّوار، فكفكفـي
دمعي، وبثي الـــدفء في أحنائـي
وبداخلي اضطرمَ الشتاء عواصفـــاً
سوداً، وألقى الرعب في أرجـــائـي
كـــل الشتاءات اللـــواتي غـادرت
قـد أقسـمت أن لا يريـم شـتائـي
ثكـــــلى نداءاتي عليك. ! فمـا أرى
كفَاً تمـــدُّ، ولا صـــــدىَ لـــندائـي
مدي يـــــديك إليّ، إني متعـــــبٌ
عبثت بـــه الأمـــواج في الظلماء
وتســـاقطـــت أيامـــه بدداً علـى
خطـــــواته في محـــــفل الأنواء

* * *

وتـــراكمت مـن فـــوقه أحـــزانه
كتـراكـــم الظلمات في الصحـراء

---

* من ديوان (أسئلة الرحيل)

كـــم ذا أعاني من تبـــــاريحـــ الأسى
وأدافـــــــع الأدواء بـــــالأدواء !
عبثاً أحـــــاذر شـــقوتي، وأنا الـــذي
جئت الـــــوجـــــود ملففا بشقـــائي
وطعـــمت من ثدي، الكـــأبة واكتـــوى
حلـــــمي بلـــــيلٍ مّيت الأضـــــواء
ثديـــــــاك يا أمـــــاه كانا لي حمـــــى
كـــانـا لنـــفسي ملـــجأ، ولخـــافقي
وزراً، وكـــــانا الظـــل في الـــــرمضاء
كـــــــالنبـع أنت، كغـــيمة هتـــّانةٍ
بالضـــــــــوء والأزهتـــار والأنـداء

***

أنت الـــــــربيع بعـــطره وظـــــلاله
والفـــــجرُ مـــــؤتلقاً بعـــين الرائي
أمـــــاه ضميني لصـــــدرك، إننـــي
مـــــازلت طفـــلاً لم يُفـــكَّ حبـــائي
مازلت ذاك الطفل، يرتسم الضحـــــى
في مقلـــتيه، منـــــــوّر الأفـــــياء
متـــوثـــــباً بين الـــرفاق، طمـــوحه
مـــلء الـــزمـــــان، كقمـــة شـــماء

لكـــنه ضـــاقـــت به آفـــاقـــه
وتقـــــاذفته حبـــائـــل الإغـــواء
حـــيران يختلـــس الحياة، ويحـــتـــمي
بإبائـــــه في زحـــمـــة الأهـــــواء
ظمـــآن تُحتـــضر الغمائم حـــــوله
وتمـــــوت فيه دوافـــع الإغـــراء
لم يأت يا أمـــاه يوماً صـــــاغـــراً
لســـوى الإله الـــواهب المعـــطاء
لم أجـــث، لم أحـــتن الجبين مهـــانة
لم اتخـــذ غير الحـــــفاظ ردائـــي
قـــــاومت كـــــل غواية، لكنني
أخفقت في حـــظي مع الأعـــــداء
وسقطت في وســط الطريق مضـــرجاً
بكـــــرامتي، متعـــــثراً بإبائـــي
أمـــــاه ! مـدي لي يديك، وقرّبـــي
مـني، وضـمّي الطـــفل للأحشـــاء

صفر ١٤١٧ هـ

هواجس في طقس الوطن *

شعر: عبد الله الصيخان

قد جئت معتذراً ما في فمي خبرُ
رجلاي أتعبها الترحالُ والسفرُ

ملَّت يداي تباريح الأسـى ووعت
عيناي قاتِلَها مـا خانَـها بَصَرُ

إن جئتُ يا وطني هل فيك متّسعُ
كي نستريح ويهمي فوقنا مطرُ

وهل لصدرك أن يحنو فيمنحني
وسادةً، حلـماً في قيظهِ شَجَرُ

يا نازلاً في دمي انهض وخذْ بيدي
صحوي والتمَّ في عينيّ يا سهرُ

واجمع شتات فمي واغزل مواجعةُ
قصيدةً في يدٍ أسـرى بها وترُ

وافضح طفولتيَ الملقاة فـوق يـدٍ
تهتزُّ ما ناشها خوفُ ولا كِبَرُ

* من ديوان (هواجس في طقس الوطن)

وصُبّ لي عطشَ الصحراء في بدني

واسكبْ رمال الغضا جوعاً فأنحدرُ

***

قهوةٌ مُرَّةٌ وصهيلُ جيادٍ مسوقةٍ، والمحاميسُ في ظاهر
الخيمةِ العربية

راكةُ في الرمال وفي البالِ، كيف المطا ريشُ إن ذهبوا
للرواح مطيَّ السفر؟

وكيف هي الأرضُ قَبْلَ المطر؟

وكيف الليالي، أمُوحشةٌ في الشعيب إذا ما تيمَم عودُ
الغضا واحترى أن يمرَ به الوسمُ صبحيةً والنشامى

يعودون في الليلِ مثقلةٌ بالرفاق البعيدين أعينهم،

ثم كيف السرى إذ يطول بمُدْلَجَها؛ أرضهُ أنسُهُ في التوحُّدِ،

لا أحدٌ غير رمل الجزيرةِ، لا نجمةٌ يستدلّ بها في السّرى

غير قلبِ المحبِّ، وهذا الحصى شَرِهٌ ما طوته القوافلُ

من زمنٍ ثم كيف النوى إذ يطول بنا.

قمْ بنا

أيها الوطن المتعالي بهامات أجدادنا

أيّها المستبدّ لهفةً وهوىً

أيّها المتحفّز في دمنا

والمتوزّعُ في كل ذرّاتنا

***

أعطنا بصراً كي نراك، وأوردةً كي تمرّ بنا، فيه نلقي
مساءً جميلاً، قرنفلةً في عرى ثوبك الأبيض المتسربل
ضوءاً لنمشي أيّها الوطن المتعالي إذا ما ارتدانا
الظلامُ إليك.
خذ يدينا إذاً
صُفّنا .. وأَقمْ يا إمامَ الرمال صلاة التراويح فينا، مقدّسة
أن تظلّ لنا شامخاً كالنخيل الذي لا يموت ..
واضحاً كالطفولة، كالشمس ثم اعْطنا جذوةً
حيّة في الفؤاد الخليّ لكي يصطفيك

* * *

وطني واقفٌ
ويدي مُشْرَعَة
ابنك البدويُّ أتى يستزيد هواجس أيّامِهِ المُسْرِعَهْ
مرسلُ من سنيّ الفراغات كيم أفتّش عن لغة ضائعهْ
بكيتُ على باب مكة، فتشتُ أركانها الأربعهْ
في فمي معزفٌ كسرته الليالي وامّحت ترانيمُه الزوبعهْ

* * *

إنني واقف خلف ظهرك مفتتحاً وجعي باعتذار المحبّين
حين يطول النوى
خاشعاً من محيّاك يا وطناً نتعالى به، غيمنا إذ

يجفَ بنا الورد، سلوتُنا في مساء التغُّرب، في
الصبح وردتنا ورغيف الفقير، وأنت البسيطُ
البسيطُ فقل للعصافير إن الفضاء مديحُ اتّساعٍ
لعينيك كي لا تطيرَ، فإنّ العصافيرَ خائفةٌ، فكن
وطني ممعناً في الهدوء لكي تعتلي ذِرْوتك.
وكُنْ في المساء حنيناً عليها لكي تَمْنَح السرَّ لك.
لكي تمنح السرَّ لك

* * *

سماءٌ لنا وسماواتٌ لك
وأنت فضاء البياض اذا ما استفاض على القلب شكْ.
وأنت الشهادةُ فيمن هلكْ
سماءٌ لنا . .
وسماواتٌ أولها أنت، آخرها أنت، وأنت
لنا الضوء إذ يستدير الحَلَك
وطنٌ . .
تعبت رملةُ في "النفود" فقلتُ لك القلبُ مُتّكأّ
والغمام فَلَك
فاستديري به ثم حُطَّي على جبهتي
أنا واقفٌ لمجيئك
أعرفُ
بعد الغبار تغنّي السماءُ لنا أغنيهْ

تصبّ لنا الماء في عطش الكأسِ

وقتئذٍ

مَطَراً أشعلك

مطراً

أشعلك

١٩٨٥م

وجوهنا التي تُحَلّق حولنا *

شعر: محمد عبيد الحربي

هذا الجار لا أعْرِفُهُ

وذاك لا يعْرِفُني

أي جيران نحن وكل هذه الجدران والريبة بيننا؟

الريبةُ التي تُضيءُ مصابيحهم

وتطعمهم ليلةً أخرى

أي جيران نحن؟

لا ينام البحر إذا رآنا نخرج في الوقت ذاته

ولا يذهب الهواء إذا تنفسناه معا

ذات مساء لاهث، فَكّرتُ أن أدق بابه

أن أحدّثه عن الشموس التي أصعد إثرها للكلمات

وعن بحيرة الأشواق التي رأبتْ خطاي

* * *

ذات عيد دق بابي

فقلنا معاً عند حنين الجرس: كل عام.

أي جيران نحن؟

---

*من ديوان (رياح جاهلية).

أحياناً نترك أطفالنا في خيال الشارع

كل له ساحة ومرآة ومستحيل

أحياناً نسحبهم كالأفكار

نضعهم في خزائن الأبوة

ونأخذ من كل واحد مرآته

لنرى وجوهنا التي تُحَلّق حولنا

ما أقسانا.

بوحُ حتَّى الهذيان *

شعر: جاسم الصحيّح

مِنْ أَجْـــلِ وَحْـــدَة هَذَا العَالَـــمِ القـــلِقِ ... عُودي إليَّ .. احْرِقينـــــي فيكِ واحْتَرِقي

لابـــدَّ للنار أنْ تُفْني فَـــرَاشَتَـــهَـــا ... كَيْ يُولـــدَ العشـــقُ مـــن حُـــرِّيَّةِ الأَلَقِ

عُـــودِي إليَّ .. فمـــا عَـــادَتْ رسـائلُـــنا ... تحـــنو على هَـــذَيَان الـــرُّوحِ في الوَرَقِ

عُودِي من الصَّمتِ .. مِنْ أَقصَى مَرَارَتِـــهِ ... حتَّى أقَاصِي رحيـــقِ البَـــوْحِ، والعَبَـــقِ

مـــا عَـــادَ وَجْـــهِيَ يَجْـــلُو في مَلامحِـــهِ ... -خـــوفَ الـــوشايَةِ- مِرْآةً مـــن العَرَقِ

فضيحـــتي بـــك مَـــا أَزْكَـــى رَوَائِحـــهَا- ... فضيحةُ الحـــقِ بالنَعْنَاعِ والحَبَـــقِ !

شَتَّـــانَ مـــا بين أنْ نحـــيـــا صَبَـــابَتَـــنَـــا ... في الأُفْـــقِ نَجْـــمَيْنِ أَوْ وَهْمَيْنِ فـــي نَفَـــقِ

* * *

مِنْ حُبَّنا صَاغَتِ الـــدنيا حقيـــقَتَـــهَـــا ... مَجْـــلُـــوَّةً في صفـــاءِ القُـــرْبِ، والأَلَـــقِ

لا تُطْفِئي جَـــوْهَـــرَ الأَشياء هـــارِبَـــةً ... مِنّي .. مِن الجمرةِ الأُولَى .. من الحُرَقِ

عـــودِي إلى البَـــدْءِ .. رُدِّيني إلى وَهَجٍ ... بِكْـــرِ الغـــوايةِ، من عيـــنيـــك مُنبَثِقِ

خَـــلِّي عَـــلاقَتَـــنا بالـــكَـــوْنِ قَـــائمَـــةً ... عَـــلَى الجمـــالِ طُـــفُـــولِيّاً بـــلا رَنَـــقِ

أخشَى إذا الطِّفلُ في أعْمَاقِنَا .. هَجَعَـــتْ ... ثَـــوْرَاتُـــهُ وَ اكْتَفَى من لُعـــبَهِ النـــزَقِ

أخشَى أُطِـــلُّ عـــلى الأنهـــارِ مِنْ حُلُـــمٍ ... يُحـــيلُـــهَا لِيَ أَنْهـــاراً من الـــوَرَقِ

لا تَتْـــرُكِيـــني هُـــنَا رُوحاً مُعَـــلَّقَـــةً ... بالْمَـــوجِ مـــا بينَ حـــدِّ العِتْقِ والغَـــرَقِ

---

* من ديوان (حمائم تكنس العتمة).

لا تتركي يَاسَمِينَ الصُبْـــحِ يَزْجـــرُني مـــتَى أُنَـــزِّهُ في بُسْتـــانِه، حـــدَقِـــــي
خَـــلِّي أزاهِيـــرَنَا تَحْـــيَا سَكِيـــنَتَـــها من صَحْوَة الفَجْرِ حتَّى غَفْوَةِ الأُفُـــــقِ

***

عـــودي إليَّ فَكُـــلُّ الكائـــنات هُـــنَا شَوقٌ يُنَاجِيك مَسْفُـــوحاً على الطُـــرُقِ
حَسْبُ الصـــبابةِ أَنْ أَبْقَتْ لَنا رَمَقـــاً نحْـــياهُ، أوْ رُبّمـــا قِسْطـــاً مِنَ الرَمـــقِ
نصحو على نَبضِه، والشَمسُ تَرْقُبُنـــا جُرْحَـــينِ فَاضَا مَعـــاً من وَجْنَةِ الشَفـــقِ
مَا غَـــابَ طَـــيْفُ عِـــنَاقٍ أَلْتَقِـــيكِ بـــهِ إلاَّ وَزَنْـــدَاكِ مَنْـــقـــوشَانِ في عُنُـــقِي

جمادى الآخر ١٤١٨ هـ

صـــوت *

شعر: أحمد قران الزهراني

صوتٌ ما ..
أتوسلُ فيه كتاباتي
صوتٌ ..
يتماهى في لونِ الحبرِ القاني
والورقِ المصقولِ
وبعض قصاصاتٍ
من وجهِ مرسومِ
يتراءى لي
أني أسكنه
أو أتصفحُ فيه الحلم الآتي

* * *

صوتٌ..
يشطرني نغماً
ويحيلُ دمي لغةً
تستقرئُ

---

* من ديوان (بياض).

نبض شراييني

فأقاوم ذاتي في ذاتي

***

صوتٌ..

يحملني فوقَ الريحِ

ويجتاحُ مدائنَ

وهم بداياتي

***

ها.. موجٌ

يتقصىُ سُفني

الموءودة

***

بين ركامِ خطايا

شهواتي

***

ها.. سنبلةٌ

تشرعُ في وجعي

وتساورني

شكّاً

في كلّ قناعاتي

ها .. صمتٌ

يُغرقني

حيث يشاء

يقيناً

ويحدُّ مساراتي

***

صوتٌ ما ..

لا أعرفهُ

لكني أدرك معنى

أن يزرعَ قفراً

ويمازج بين الرملِ الثائرِ

في بدئي

والماءِ الغارقِ في ملحِ

نهاياتي.

مختـــــــارات قصصيـــة

الاستسقاء *

قصة: عبد العزيز مشري

اندلقت من عينيه نظرة حاسرة إلى حقل القمح، وقد تطاول بالسنابل كالشهب. ثم صعّد النظرة إلى سقف بعيد من الغمام .. نحو المشرق الذي ولد شمس الصباح منذ ما قبل الظهيرة، وقال:

(هذا نحن ننقي الأرض من الغثاء والحصى، ونبذر " ذَروَنا"، ونخطّ بالمحاريث ونرعى باليد واللسان والقلب بذراً بذرناه، وتجيء حوافل الغيم المقتم كشملكِ فتلقي بنثار البرَد على كل سنبلة تسنبلَت بالحَبّ المسهّم، فيغدو في حضيض الأرض .. تأكله لاقطات النمل والطير، فلا تبقي ولا تذر).

فلما فرغ "ابن ركبة" من هذا الهسيس في الخاطر؛ لمع في السماء برق، وصعقت ملء الآذان صواعق قصيرة، ونضحت على الأرض أول أخبار البرد .. فصاح كما يصيح. بالصوت المرتفع كل سامع في القرية لهازج السماء: " يا كريم "، وبقي يجرجر خاطراً في الصدر محملاً بالغضب والحسرة والويح المرتقب.

وحيث إن الموسم قد أدلق ما يفيض به الزرع والضرع، وامتلأ بالرضى كل صدر، وهنأ كل عين .. فما بال العمامات المذّيلة بآخر الأمطار .. تأتي على ثمر الزرع الناضج فتبيد اكتماله، وتنصبّ النِتفُ على أذرع الأشجار المورقة المثمرة بنتاجها .. فيهلّها عند الجذوع !؟

---

* من مجموعة (أحوال الديار)

صاح بأهله .. ؛ أن يُدخِلوا إلى الدار الحَلال، وكل ما يُخاف من حصْبَا السماء عليه .. ففعلوا؛ وفعل معهم تحت نُثارٍ ثلجيَ كالزجاج الثقيل .. نقياً، صافياً كعيون البقر، قاسياً، لإرتطاماته على صدغ الرأس وما تحت الضلوع وجع لا تمحوه الغضبة ولا الشهقة، ولا ما يجمع بين الكفين المنبسطتين لرَجوة الدعاء.

فالآن .. لن يقف هذا السماوي القاسي، حتى ينفق كل خزينة له في الغمام؛ على رأس كل مثمر ناضج يرتع على الخضرة النابتة والمتسنبلة ألا .. (فليتول الله بفضل رحمته على عبد " كابن ركبة "، وعبادٍ في القوم ليسوا بقليل .. أفنوا جهد عنايتهم في الزراعة، وقضوا في انتظار ثمره شهوراً حتى يحين القطاف .. ويأتي برَد الغمامات قاصداً متعمداً .. ليواسية بالأرض كالقاعِ الصفصف).

فلما طوى «ابن ركبة» حبال المرارة على طول الموسم، واستعوض الله فيما ذهب من السنابل ضحية للبرَد، وذهب من ذهب في استعداد جديد لموسم جديد .. بقي وقتاً مع الناس يتنظرون مطر الموسم الجديد، وأحمضت أكبادهم مع البذور المدفونة تحت مَدر الأرض؛ فأبطأت الغمامات وتأخرت عن سَوقها الرياح، واحترقت الشمس؛ تقطر ضوءها وحارة لهبها من الشروق إلى الغروب، وضحكت خوافق الضلوع من عجب الأمور وقال «ابن ركبة» في غُدرة الظلام:

(أواه .. بالأمس كنا نستعيذ برب الأنواء، من برَد يهلك الأخضر واليابس، واليوم نستعيذ برب الدهر من موسم لا تُبلل في قحطته ناشفة).

***

أسرى إلى زوجته تقتصد حين تقبض بالكف حفنة الطحين، وزادها بالوصية؛ إن البطون تعتاد نفوس أصاحبها .. فإن عوّدها على الفضاض غدت واسعة لا تشبع، وإن عّودها على الوفارة والتدبير .. تعودت على ما عودها عليه.

أومأت بالطاعة والصبر إليه الزوجة، وأغمضت عينيها على ذراري بطنها الأربعة، وكبيرهم لا يكاد يبلغ الوادي وحيداً، وهي في بالغ الحاجة إلى معين في تعب الأيام التي لم تهِن من حضور تعبها وشقائها.

تدفقت الأيام في أذيال الليالي، وشحبت مكامن المؤنة الصغيرة، وبلغ سعر «رُبع» الحنطة بتلك "الروّية".

ولكن ..

(ما بك يا ابنة فلان؛ وكأنكِ عدمتِ الحيلة وقلة الجهد وخطة البصيرة ، أليس في البئر ماءٌ؟ وإلي قُرب البئر منبتاً طيباً من الأرض فيه البقل وما يصلح من الخضار للأدُمِ والأكل؟ وقُربه ما يشبع بقرتين حلوبتين من البرسيم .. عليك الحوطة من الله ! جُزّي البرسيم الأخضر النابت واطبخيه مع قليل الطحين، وانتقي اللائق من الخضار واسكِتي فراغ المعدة، وجوع الزوج والذراري .. يوم، ويومان، وشهر، وآخر .. يغير الله الحالة إلي خير حال .. وكل الناس مثلكِ يفعلون .. فلتفعلي .. فلتفعلي من بُكرة الغد).

***

عندما قعد " ابن ركبة " مع ذرارية قرب ركبة زوجته؛ ينفث دخان سجائره التي وجد لها وقتاً فائضاً .. يلفها من التمباك الأخضر ويهذبها؛ وفي حضرة الشاي المعتقّ بورق " الحبَق " .. نفضت غبطة وامضة نبض صدره، فألقى بعقب تلك الملفوفة البيضاء على طرف من مقعده، وبقيت تُناسِل على بطء ذؤابةً رقيقة من دخانها الأزرق .. جانَبَ عينيه النظر إليها؛ وحوّلهما بأسرع من بصرهما إلى زوجته، وقد بالغت كعادتها في وصف أمور العشاء بعد همّ الغداء وفتافيت البيت والذراري، وماذا ستكسب في الغد من أكلٍ للبطون الصغيرة وكيف أنها تخاف على دجاجاتها في البْرد المتثائب هذا الشتاء؛ من اعتداء الكلاب، ودحرجت كلاماً آخر عن أشياء

لم تكن لتعني الزوج الذي استمع إلى كل هاربة من قولها، وقال:

كأنك تحملين جبل الوادي على رأسك خوفاً على دجاجاتك، وكأنك نسيت ما يتوعدهن .. أذيننا، وقذّرن سكننا، ولو صحّ لهن لنهبن ما في أيدي أطفالنا .. وتأتي في غياب رعايتك ضالة الكلاب فتهنأ بها، ونحن بالندم يندى فينا الصدر والجبين .. اسمعي يا ابنة فلان .. إن كنتِ في عين عقلك؛ فهاتي السكين نحدّها على رقبة إحداهن .. لنا ولأطفالنا الغداء والطعم اللذيذ.

ما أبطأت الفكرة عن رأسها من قبل، وهي العارفة بحال دجاجاتها، والبالغة في المعرفة ليوم يأتي تحد على رقباتها سن السكين، وتلك حادثة لا تنقضي بقضائها ناسلات البيض .. وليس عزيزاً أن تعوَض عنهن بأجمل مما فقدت.

ولما كان الرد منها يأتي في فرك حدّ السكين .. كانت الدجاجة الموعودة تُقاسم أخواتها في الساحة الحركة والضجيج .. إذ عمدت إلى قدميها يد الزوجة، وحملتها كما تحمل غرضاً عتيقاً، فراحت الدجاجة المقلوبة تقطر من ملاقطها بالصوت المستغيث .. وأجرى الزوج على الرقبة المستسلمة بين أصابعه بالسكين، وتولت الزوجة المحاطة بفزع الذراري بقية شأنها.

***

كاد الموسم يفنى إلا قليلا، وهبّت في قحط الأيام رياح جافة .. شننّت كل ذي جلد على عظمهِ، وامتدت اليد في العشيات إلى رقاب جميع دجاجات الزوجة، وتمنى "ابن ركبة" لو أنه تدّبر أيام الوفرة فاشترى بقرة كما أشارت عليه بالرأي زوجته، وكاد ينتف من الندم ذؤابة لحيته .. ثم استعاذ بالله من هواجس الشيطان، كارهاً "لو أن" وهزّ علبة الصفيح الفضية الرابضة عند مقعده، فوجدها محقونة بالتمباك الأخضر، فاغتبط، وذهب يوضب بأصابع يديه التي أصفرّت ظوافرها؛ سيجارة حبلى .. مرّر برأس لسانه من طرف الورقة إلى طرفها؛ وكواها و .. سرح مع الدفء الخامل يلفح من مشبّ النار، وشرب عدداً من فناجين القهوة المبهرة بالزنجبيل مع الزوجة والذراري، وكانوا جميعاً يهطعون في البرد والرياح المتقلبة؛ إلى جُحر الدار ..

ينتظرون يوماً فيه أبوهم .. اليوم سنفعل كذا، ولا يدرون ما هو " كذا " وماذا سيكون.

و ..

اليوم بقي من حلال الماشية حمارة غبراء لا تكاد تنوء بالحمل، وقطة ولود بثلاثة هررة لم تر عيونهم النور، وفي الساحة أظلاف قوائم الثور الوحيد الذي جاءت إلي لحمه حاجة الجيب والبطن .. فباعه " ابن ركبة " لأهل القرية .. أخذ كل مشترك في شرائه منه " سادياً " من اللحم، أما بقايا الدم والأظلاف بقوائمها .. فما برحت تمتص الرياحات والشمس وثكنات النمل الصغير.

***

كانت ساحة المسجد بعد خطبة الجمعة؛ تجمع نثار القوم، وكان من بين القاعدين على رؤوس أصابع القدمين .. رجل مجعدّ الجفنين مستقيم الأنف، وقد أركز دقنه على قبضة كفية المطبقتين برأس العصا .. راح يفرغ سمع أذنيه مع القاعدين الذين استفرجوا الله قُرباً بعد الانتظار والجفاف، حينما قال الشيخ:

يا جماعة الخير .. جاءنا أمر بإقامة صلاة الاستسقاء صباح الاثنين القادم.

١٩٩٠م / الدمام

الدنيا قادمة*

قصة: عبد الله باخشوين

-"جتك الدنيا" يا ولدي يا محمد ؟!

وسألها محمد:

- يا أماه ماذا تعنين بـ "جتك الدنيا"؟

قالت:

-الدنيا فتاة جميلة تأتي للإنسان .. يعشقها فتعشقه.

قال:

-لكن يا أماه .. لماذا لا تقولين لي "جتك الدنيا" إلا وأنت غاضبة؟!

قالت:

- لأن الدنيا تأتي مفزعة حينا .. ومخيفة إلى حد الجنون حينا .. وحنونة رقيقة رؤوفة في أحيان قليلة ؟!

قال:

-إذن يا أماه .. لماذا تجيئني هي ولا أذهب أنا للبحث عنها؟!

وحيد أنا وهذا الليل طويل طويل. كل الجهات وجهتي وأينما حللت أشعر إنني عابر. ما أكاد أقول هذا مستقر رحلتي حتى يستيقظ في نفسي الحنين: أحن إلى آفاق ارتدتها مرات. وآفاق أتمنى ارتيادها والضياع فيها. أحن إلى وجوه عرفتها وأضعتها في أماكن ما عدت أذكرها .. وأضيع .. أضيع في الزحام.

---

* من مجموعة (الحفلة)

في رحلتي تلك اخترت رفقة اثنين عرفتهما في نفس اليوم الذي قررت أن أسافر فيه. كانا توأمين هائمين وكنت ثالثاً لهما. كانت التجربة أليمة، انتهت بدخول أحدهما إلى السجن، ودخول الآخر إلى مستشفى المجانين، وخرجت أنا من التجربة بهذه الشعيرات البيضاء التي ترونها في مقدمة رأسي.

كل الجهات وجهتي وزوادتي حفنة ذكريات أليمة، وحجاب وضعته أمي في قعر حقيبتي وقالت: «يحميك من الحسد». ودعت الله أن يكفيني شر أولاد الحرام، ويجعل لي في كل خطوة سلامة.

عندما أصبح محمد خارج المدينة رأى على إحدى الروابي بيتاً من الشعر، تجلس أمام مدخله عجوز بدوية تغزل الصوف بمغزلها. اقترب منها وحياها. سألها عن الطريق فسألته.

-إلى أين تريد أن تذهب يا بني؟

قال:

-أمي حدثتني عن الدنيا .. وأنا ذاهب للبحث عنها ؟!

تركت مغزل صوفها ونظرت إليه متفحصة .. ثم ربتت على صدرها وقالت :

-أنا أم الدنيا !!

... وسلامه عندما زرته في السجن لآخر مرة أكد أن لا ذنب لي فيما حدث .. وأن لا رادّ لقضاء الله وقدره. مع ذلك فقد شعرت أنه يحقد عليَّ، وأخي عندما لقيته صدفة قال لي:

-تعال أسكن معي .. بيتي هو بيتك. إفعل ما تريد فلن يعترضك أحد.

وأمي عندما ذهبت للسلام عليها قالت:

-يا ولد الحلال حرام عليك إلى متى تريد أن تستمر حياتك على هذا النحو؟

وزوجتي قالت:

-إذا كنت لا تريد لحياتك الاستقرار فلماذا تزوجتني..؟

حتى رئيس عملي قال:

-إذا كنت لا تستطيع الاستمرار .. كن شجاعا وقدم استقالتك؟

قلت لأخي: أترك لي بعض الوقت وسوف آتي للاستقرار عندك. وقلت لأمي: لا تنزعجي من أجلي فأنا في طريقي إلى الاستقرار. وقلت لزوجتي: علينا أن نبدأ حياتنا من جديد. لن أفارقك لحظة واحدة. سوف أعوضك كل الأيام التي مضت. وقلت لرئيس عملي: يمكنك الاعتماد عليّ سوف أكون عند حسن ظنك بي. وقلت لنفسي: يا ولد كفاك تشرداً وضياعاً. قدّر نفسك حق قدرها وعش حياتك كما هي.

-يا خالتي أم الدنيا .. ألا تدلّينني على الطريق الذي يوصّلني لابنتك؟

قالت :

-إنها هناك في الوادي ترعى الغنم. لم يحن موعد عودتها بعد.

قال بفرح:

-سوف أذهب إليها.

همّ بالذهاب ولكن العجوز إستوقفته قائله:

-إنك لن تتمكن من التعرف عليها!

قال بنفاد صبر:

-صفيها لي وسوف أستدل عليها من الوصف.

قلت لنفسي وألححت في القول. عنفتها كما تعنف حماراً بليداً. أخرست حواراتها اللامجدية كما تحاول أن تخرس ابناً عاقاً ممعناً في العقوق. حدثتها عن الاستقرار. فأكدت أن الاستقرار الحقيقي لا يكون إلا بمواصلة الرحيل.

كل الجهات وجهتي .. والحنين الجارف يعصف بي، وأينما حللت يطاردني نزيل

السجن، وطيف أمي، وعذاب زوجتي، وسخط ريس عملي. وفي السفر وحدة .. في مقعدي في الباص أو القطار أو الطائرة، أشعر أنني مذنب وأن لا سبيل لغفران كل هذه الذنوب.

اجتاحت محمد مشاعر لا حصر لها. حتى لقد شعر بالخوف عندما وصفت له أم الدنيا ابنتها. ولولا أنه ظل طوال الوقت يؤكد لنفسه أنه رجلٌ لما كان قد قبل دعوتها له بالجلوس في انتظار قدوم الدنيا، ولكان قد ولى هارباً.

في مقعد المسافر تلد زوجتي غلاماً أسميته " سلامة " غير أن أمي أسمته علياً تيمناً بالإمام على كرم الله وجهه واحياءً لذكرى والدي.

في مقعد المسافر أحلم بعودة من ذهبوا، واشتاق لهم شوقاً قاتلاً لا سبيل إلى الخلاص منه. في مقعد المسافر يطاردني نزيل المستشفى بهيئته الموجعة أشعث الشعر حافي القدمين يستجدى من العابرين بقايا السيجارة.

نظر محمد إلى الوادي الممتد أمامه عميقاً بعيداً موغلاً في البعد يغيب إمتداده عن ناظريه فيما بين جبلين كبيرين تعلوهما شجيرات خضراء وصخور ناتئة. تساءل بدهشة :

-يا خالتي أم الدنيا. إنني لا أرى في الوادي عشباً .. ليس هناك سوى الرمال والحجارة؟

تركت مغزلها بضيق. حدقت في وجهه أجابت ببرود.

-العشب .. هناك .. خلف الجبال؟

في اللحظة نفسها رأى محمد من خلف الجبال إعصارا رملياً يرتفع شاهقاً في السماء ويسير بطيئاً ثم يتسع ، ويتسع حتى يغطي الجبال ثم يواصل سيره البطئ، حاملاً بين طياته رمال الوادي، ويتشكل من خلالها في اتساع أخذ يكبر.. ويكبر حتى كاد يغطي كل ما خلف بطن الوادي من جبال وأشجار وسحب و .. و..و.

صرخ محمد بهلع :

-يا خالتي أم الدنيا إنها العاصفة فأين نحتمي منها؟

أجابته العجوز دون أن ترفع رأسها عن مغزل صوفها:

-كلا يا بني .. إنها الدنيا قادمة؟!!

الميدان *

قصة : حسين علي حسين

كان من الممكن أن لا أذهب اليوم إلى العمل. يكفيني بعد صحوتي المطربة والكئيبة أن أبحث عن رقم زميلي لأفوضه بالتوقيع نيابة عني في دفتر الدوام. عادة مهمة ولذيذة أتبادلها مع بعض الزملاء دائماً.

لكنني من لحظة نزعت الغطاء السميك المرقط عن جسدي، بادرت فوراً إلى إناء الماء وشربت ما بداخله بشراهة، وكأنني قادم توا من الميدان .. أي ميدان؟ صعقتني الكلمة ورجت كياني تماماً، لكنني تمالكت وعاودت الجلوس على السرير. تباً لهذه الكلمة، تلاحقني في كل مكان. ما نوع هذه الميادين؟ تخرج لي في صحوي ومنامي، وتجوالي في الأسواق والمقاهي، سألت نفسي لماذا تهتم إلي هذا الحد وأنت رجل ميت القلب والعاطفة؟ ماذا تعرف من هذا العالم المتخم بالهواء غير الأكل والسجائر والتجوال الكسول أمام فاترينات المعارض والحوانيت ومحطات خطوط البلدة؟ رددت على نفسي بلا مبالاة: خارج هذه الأشياء: لا شئ .. مطلقاً .. لن أختل لو دمرت قنبلة هذا العالم .. لكن كلمة الميادين تقلب كياني .. هي فقط .. ما عداها هراء .. هراء .. ما نوع هذه الميادين يا صقر؟ لابد أنها خارقة، داخلة في الصلب كالأشياء الخبيثة، وها هي بدأت ترسل إشاراتها، خذ حذرك جيداً ولا تنس نصيبك من الأعصاب الباردة .. احترس !

حركت مفتاح الراديو، فانبعثت الموسيقى الشعبية، معها، وسطها، قبلها، بعدها، أصوات متعددة ومتآكلة، أحب هذه الموسيقى، تعيدني فوراً إلى الأزقة والمزارع والطرق

* من مجموعة (كبير المقام)

الضيقة المرصوفة بالحجارة والمحفوفة بالرواشين الخشبية العتيقة التي غالباً ما ترسل إلي رأسي قطرات المياه الباردة من القلل المرصوصة على حوافها، لكن الأكثر من كل ذلك أنها تنسيني هاجس الميادين .. اللعنة؟

يا صقر !!

ذاك زمان مضى، وها قد حل فوقك صباح رمادي جديد ومباغت. ملئ أو مشحون أو معبأ، بأصوات الغناء المشروخة والأحاديث المملة، أنستك ما أكلت قبل لحظة قصيرة وخاطفة، وفرغتك لاسترجاع هموم الدوام والتوقيع على دفتر الحضور والانصراف، وربما التفكير في المواعيد الجديدة لمقهى الصحراء الضاج بالأصوات والحركات، المخنوق برائحة الفحم والجراك وبقايا غسيل السيارات النتنة !!

قم يا هذا؟ قلت لنفسي ولم أقم، مع تيقني أن ورائي العديد من المهام، لكنني اعتدت الاهتمام في البيت بأشياء تافهة، أتعقب الصراصير وهي تسرع كالصواريخ حتى أفواه البلاليع المشرعة والضيقة، أجلو الصحون، على صوت الأغاني البدوية، أحياناً أتجول في المطبخ، أمسح الحيطان السوداء، كل هذه المهام يقابلها في الخارج انصلاب بليد في المقاهي لأجتر أنفاس شيشة الجراك وأشرب الشاي الفاتح العديم الرائحة.

قلت مرة لصبي المقهي :

-أهذا بول أم شاي؟

فقال بلا مبالاة:

-تقول إنك تريد الشاي على الريحة وحلاه بره ومنعنع وتشتكي من كونه يشبه البول .. الشاي الجيد ليس عندي يا صاحبي .. هوينا !!

-سوف يفصلك عمك من الغد .. الآن لو كان حاضراً !!

انتفض الصبي قائلاً:

-أنا عم وأب هذا المقهي !

برد حيلي لكنني قلت ضاحكاً وأنا أنحدر إلى لا مكان:

-الآن عرفت السبب ؟!

في اليوم الثاني عدت إلى المقهى وعلى لساني اللفظة الدائمة (لعنة الله على النقود !!) لماذا الحيطان خالية من الصور؟ أين لعبة الحبل؟ مات أبطال الحلقات التليفزيونية وبرامج الأطفال، لم تعد تدخل الدار وجيبك محشواً بالحلوى المتعددة الألوان، أصبح كل شئ خاوياً، ماتت الحركة الا من خطواتك، تقول دائماً: ذاك زمان مضى، لكن ها .. صباح جديد رمادي يخترق الحيطان الأربعة ولا يجد أمامه غير الخواء والفراغ، وجسدك الممدد كالمقعد على هذا السرير المثقل بالصحف وعلب السجائر والمناديل !

أدرت قرص التليفون ولم أجد الحرارة، لكن الأجراس الأخرى بدأت في الرنين، من الطارق؟ رفعت الصوت عالياً لكن أحداً لم يرد، ما الذي يحدث في الخارج، حمامة بيضاء حطت على الجرس أم هو النفير إلى الميدان؟ الميدان .. الميدان .. الـ .. الـ.

يا صباح الرماد بدأت بانقطاع الحرارة ورنين الأجراس فماذا بعد؟ أنا لن أبرح هذه الغرفة، لن أرد على الأجراس، التليفونات، صنابير المياه، الصراصير، صحن البيض والفول، الماء إنني خائف من هذا الميدان .. يتخلل دمي ولا أعرفه .. ماذا بعد أيها الصباح الرمادي؟

الحل الوحيد *

قصة: عبده خال

لم يكن يدور بخلدي كيف يمكن أن أشرح له بما أحس حيث كان يقف على جسدي الهزيل بقامته الفارعة، وقد أسقط بحلقي ملعقة خشبية وبين الحين والأخر يأمرني بأن أخرج صوتاً أشبه بالاستقراغ، قول: (آ) وقد سمعها مني مراراً، ففي كل زيارة أذهب إليه يجعلني أضطجع على ظهري بعد أن تكون ممرضته قد أخذت قياساً لحرارتي، وضغطي، ووزني، و لا يعود متبقياً عليه سوى تمرير سماعته على صدري، وغرس تلك الملعقة الخشبية أسفل قاع فمي. وكان يحدث هذا مع كل طبيب أصله، أخرج وأنا لا أزال أعاني من مرضي الغريب حتى أن كثيراً من الأطباء دفعوني لزيارة إخصائيين نفسيين، وهؤلاء بدورهم أحالوني على أطباء عضويين، وكان آخر مطافي عند هذا الدكتور الذي راق لي، ففي أول زيارة أجلسني أمامه، وأمطرني بالأسئلة بينما كان يدور كل ما أقول في (نوته) صغيرة، قلت له:

- أشعر بمرارة تلازمني أينما اتجهت. وبعد فحوصات، وتحاليل، وأشعة مقطعية، وملونة، لاطفني بود:
- أنت لا تشكو من شيء .. أفلا تستطيع أن تتعود على هذه المرارة؟

رددت عليه بعجز:

- لا أستطيع أبداً يا دكتور فهي تتصبب في داخلي بغزارة، وتحيل حياتي إلى كابوس.

حاول التخفيف عليّ:

- لا عليك، فكلما شعرت بها تناول قطعة سكر وأذبها بحلقك.

---

* من مجموعة (الأوغاد يضحكون)

- لقد بلعت من السكريات أكياساً تجعلني بحراً سكرياً ، ومع كل هذا فالمرارة التي أحس بها تزداد، وتتدفق في حلقي بغزارة بل على العكس، فكلما أدنيت من فمي شيئاً من تلك السكريات سالت المرارة في كل أجزاء جسدي حتى أشعر أن شعر بشرتي يستنشق هواءً مراً.

وخرجت من عنده بعد أوصاني بملاحظة حالتي ومتى تقلّ المرارة.. ومع تكراري المجيء إليه، بدأ يشعر بالسأم والضيق من حالتي التي أعيته، كنت أحس بذلك دون أن أجرؤ على مصارحته بما يختمر بداخلي، وها أنا اضطجع على ظهري، ولا أعرف كيف أشرح له بما أحس بعد أن استنفدت كل الطرق المملكنة لشرح حالتي .. أنهضني من رقدتي تلك، وتبسم في وجهي:

- قصص نيئة
- كيف هي المرارة (معك) الآن؟
- أشعر بأن فمي بحر من مرارة تفيض كنهر لا ينضب.
- ألم تلاحظ متى تخفّ؟

عصرت ذاكرتي، فاستعصت تلك اللحظات على المجيء، وبعد جهد وتركيز تذكرت بأنها تتلاشى بمجرد أن أذكر الموت، فصحت به:

- نعم، أشعر بطعمها يزول من فمي كلما تذكرت الموت، أو فكرت فيه!

ففز من مقعده صائحاً بفرح:

- هو الحل الوحيد .. نعم هو الحل الوحيد!!

الزحف الأبيض *

قصة: لطيفة إبراهيم السالم

ذروة الجهود تبذلها في هذه الفترة من النهار .. حيث أعمالها كلها مكثفة الآن .. إعداد الأطفال لبدء رحلة التحصيل اليومية في المدرسة القريبة .. وتقديم الطعام لهم .. والاطمئنان على ترتيب أمورهم .. ثم .. إعادة تنظيم البيت وترتيبه .. وإعداده لاستقبال الزوج المتعب والأطفال العائدين ..

أحلامها كلها تنحصر في تهيئة الجو .. لبناء أسرة سعيدة ناجحة .. وأقصى أمانيها أن ترى الثمرات الصحيحة لحرثها .. ناضجة مزهرة.

-ماما .. لقد انتهيت من ارتداء ملابسي قبل الآخرين .. هل اذهب لإعداد الفطور؟

انتزعها الصوت الحبيب .. من أفكارها المعتادة .. فألقت نظرة حنان على ابنتها .. وطبعت قبلة سريعة على وجنتيها .. وصاحت :

-هيا .. تعالي يا هند .. ساعديني في إعداد الطعام ..

وأمسكت بيديها الناعمتين .. بمرح .. وجرتها إلى المطبخ .. يا لهذه الطفلة الحنون .. لم تحاول بذل المساعدة فوق ما تطيق سنواتها العشر ..

وبلمسات سريعة .. أنهت إعداد مائدة الإفطار .. وتوجهت إلى غرفة الصغار .. يا لهم من كسالى ..

-ألم تنتهوا بعد .. ؟

---

* من مجموعة (الزحف الأبيض)

ولم يرد عليها أحد ..

-أين أنت يا ماجد .. سعاد .. أين أنتم ..

ولا مجيب ..

أخذت تتلفت حولها .. وتنادي ولا من مجيب.

ذهبت إلى الحمام .. إلى الغرفة الأخرى .. ولم تجد لهم اثراً ..

عادت إلى غرفتهم .. وأخذت تنادي .. وفجأة .. وبشيطنة لذيذة .. قفزوا جميعهم أمامها .. يتصايحون كأنهم أفراد إحدى قبائل الهنود .. فأمسكت كلا منهم .. تعاجله بقبلة سكبت فيها كل ما يفيض به قلبها من حب وحنان وسعادة ..

وبشراهة لذيذة .. وصيحات ضاحكة .. أتموا تناول طعامهم .. فتبعتهم نحو الباب لتودعهم واحدا واحدا .. والسعادة ترف بجناحيها حول الوجوه البريئة ..

وعادت لتجد الزوج العزيز .. جالسا إلى المائدة .. يحاول أن يلتهم بقايا الطعام .. فصاحت بمرح:

-هل نزلت..؟ انتظر انتظر.. سأعد فطورك سريعا ..

وبعد أن انتهى من تناول الفطور .. نهض مودعا إلى بعد ساعات قليلة يشحن خلالها مزيداً من الشوق للأسرة الحبيبة ..

وبقيت وحيدة .. لتبدأ رحلة الاستعداد لاستقبال الأعزاء العائدين .. ولذلك .. وبهمة ونشاط .. انصرفت إلى أعمالها المنزلية المعتادة .. وصفير ومرح يخرج من بين شفتيها ..

إن أعمالها الصغيرة هذه .. لا تحتاج وقتا .. إنها لتعجب من زفرات الضيق والتذمر التي تطلقها جارتها وصديقاتها .. أين هي الأعمال التي يتضجرن منها؟

أين هو الوقت الضيق الذي يشكينه إنها لا تدري سبباً لهذا التبرم والضيق هي تملك نفس الوقت ... وتؤدي الأعمال ذاتها . لكنها لا تشعر ضيقا ولا حرجا .. ربما يتركن الوقت

يتسرب من أيامهن في زيارات غير مجدية .. ربما يضقن بالعمل .. أي عمل .. لكنها لا تضيق به .. لابد لمن أراد أن يعيش أن يعمل .. بل ان العمل لذة وسعادة.

ربما لا يجدن السعادة التي تغمرها في كنف زوج عطوف وأطفال مرحين .. وتذكرت أطفالها .. لكم تخوفت من الأطفال ومسئولياتهم .. بل طالما تخوفت من الإقبال على الزواج .. كانت تعتقد أن الزواج في معادلة بسيطة واضحة يعني الانتقال من حياة منطلقة سعيدة .. إلى حياة لا يفارقها فيها إحساس ثقيل بالالتزام نحو كثيرين .. وهي عندما خنقت ترددها أخيرا .. وافقت على التضحية بالكثير في مقابل حياة تجهلها وتجهل نتائجها . كانت تتوقع الكثير من التنازلات التي قد تجد نفسها ملزمة ببذلها .. ولهذا حاولت أن تعد نفسها للبذل في سبيل تذليل أي طارئ .. لكن الأمور جرت بطريقة مغايرة تماما .. منها هي .. دون تنازلات .. وسهولة وعفوية .. تمارس هذه الحياة على نحو عكسي تماما .. لمعادلتها القديمة.

وفي ساعات العمل .. بسرعة .. أدركها وقت العودة ..

ألقت نظرة على الساعة في معصمها .. بقي أقل من الساعة .. يجب أن تهيئ نفسها لاستقبالهم..

وتوجهت إلى غرفتها .. لتغير ملابسها .. وعلى نغمات رقيقة صادرة عن جهاز الراديو .. أخذت تصفف شعرها .. في محاولة لخلق تسريحة جديدة تفاجئهم بها .. منذ متى ؟

لا تدري .. المهم أن تحرص على التغيير من حين لآخر .. في أي شئ .. نظام منزلها .. أو شكلها هي .. كي تستمر عملية تغذية المنزل بشحنات دافقة من الحياة والحيوية.

وفي لحظة انهماكها في تأملاتها .. لمحت شيئا .. أو خيالا .. دقيقا أبيض .. ربما كان لعبة من ألاعيب خداع النظر .. ربما .. لكنه خيط أبيض .. دقيق يسكن في مفرق شعرها الغزير كالشعرة البيضاء .. ربما كان أثرا من آثار الغبار الذي نفضته عن المنزل .. منذ ساعات .. وحاولت ان تمسك بيدها .. عليه .. لكنه لم يتحرك .. انه قطعة من شعرها .. أنها شعرة وشائبة .. ماذا ؟

كيف تجرؤ على قول "شائبة"؟ هل هي .. هل هذه شعرة بيضاء حقا..؟ اعني هل أصبحت

"عجوزاً".

كلا .. كلا .. ما هذه الخاطرة المزعجة ..؟ لماذا تفكر هكذا؟ هذه أوهام .. لا وجود لشئ .. لماذا تعكر جداول سعادتها بهذه الخيالات المزعجة..؟

لكنها حقيقة .. وأي حقيقة ..؟

يجب أن تتأكد .. كيف تخاف من شئ غير واقع .. وقد يكون مجرد .. وهم ..

وببطء مرتجف .. مدت يدها إلى .. حيث الخوف مجسما .. وببطء .. حاولت أن تتأكد .. لكنها سحبتها سريعا، إنها تخشى الحقيقة .. تخشى المواجهة، إن مستقبلها كله يكاد ينهار فوق رأسها .. في هذه اللحظة .. كلا .. إنها ليست .. إنها ليست .. يجب أن تتخلص من هذه الأوهام المزعجة .. إن هذا ليس إلا ...

ومزق توتر أفكارها .. صوت جرس الباب .. لقد عادوا ..

وبيد مرتجفة رتبت شعرها .. ونهضت متثاقلة نحو الباب لتستقبلهم .. وسحابة الألم تكذب ابتسامتها الباهتة ..

ودخلوا .. دون أن تقول شيئا .. لقد نسيت كيف تستقبلهم ..

وأسرعت إلى المطبخ دون أن تتفوه بشئ .. لم تشعر قط .. بأنه يجب أن تقول شيئا ..

وبصمت كئيب .. أعدت طعام الغداء .. واجتمع شمل الأسرة حوله ..

كان للصمت صوت قلق .. سيطر على الجو .. وبدا أن الجميع قد أحس أن هناك شيئا .. شيئا ما .. طارئا مزعجا ..

وتطلع الأطفال بعيون ملأها حزن متساءل .. نحو أمهم .. ما بها ؟

وانتظر الطعام باردا .. بعدما عزفت الأيدي عن الامتداد نحوه وزحفت الدقائق في توتر

وفي غمرة الانشغال بالأفكار المتصارعة في ذهنها .. التفتت نحو المائدة، إنها لم تأكل

شيئا بعد .. بل إن الطعام لازال مصلوبا على المائدة .. لماذا لا يأكلون ؟

والتفتت نحو الأطفال بقلق: لماذا لا تأكلون؟

وبكل الألم والخوف الذي تفجر في نظراتهم المعلقة بها .. أدركت السر ..

إنها هي ..

أنانيتها .. لحظة انشغالها بذاتها .. تحسسها المرتاع نحو المجهول .. أنساها إياهم .. وأنهم كل شئ .. ذكرياتها اللذيذة .. واقعها الهين .. وغيبها المشرق .. إنهم كل شئ

وهي .. بعيدة عنهم .. لاشئ .. ثم .. ماذا تعني .. شعرة .. وتذكرت بغصة: شعرة بيضاء .. تتوج رأسها ..؟

أليست بوحا صريحا .. يؤكد إنها قضت أجمل سنوات عمرها كأسعد ما يتأتى لأي أخرى أن تقضية؟ انها لم تفقد شيئا .. بل ها هو حصادها الرائع بين يديها .. ينمو .. وينمو .. فماذا يزعجها ؟

المزعج الآن .. وبحق .. هذا الخوف المبهم .. والألم الممتزج بالناس أحبتها ..

وبانتفاضه الحياة .. التفتت إليهم:

-لماذا لا تأكلون ؟ خذ يا سعد هذه أكلتك المفضلة..

ثم أتمت: - هيا .. لنأكل الطعام .. قبل أن يبرد..

وهي .. بعيدة عنهم .. لاشئ .. ثم .. ماذا تعني .. شعرة .. وتذكرت بغصة: شعرة بيضاء .. تتوج رأسها ؟

أليست بوحا صريحا .. يؤكد إنها قضت أجمل سنوات عمرها كأسعد ما يتأتى لأي أخرى أن تقضية؟ انها لم تفقد شيئا .. بل ها هو حصادها الرائع بين يديها .. ينمو .. وينمو .. فماذا يزعجها ؟

المزعج الآن .. وبحق .. هذا الخوف المبهم .. والألم الممتزج بالناس أحبتها ..

وبانتفاضه الحياة .. التفتت إليهم:

-لماذا لا تأكلون ؟ خذ يا سعد هذه أكلتك المفضلة..

ثم أتمت: - هيا .. لنأكل الطعام .. قبل أن يبرد..

محادثة برية شمال شرق الوطن*

قصة: قماشة عبد الله السيف

أرقب بدقة .. هذا المتواجد بهدوء .. حتى فرغ من صلاته، " خلت لحظتها أن أيامه هذه كلها صلاة" كان الوقت عصراً وكان الغمام يهمى بهدوء .. حين التفت إليّ بدا وجهه مضيئاً وحنوناً كوجه جدي الذي أحبه منذ الصغر ومازلت .. حين التفت إليّ قال يا ابنتي .. لم أكن .. وأكمل ..

ثم عدّل جلسته ..

أصب له فنجان قهوة .. يتناوله بامتنان ... ،

يجلس نهاره في هذا الرواق الطويل "هنا أشوف وجه ربي" يقول .. تتداخل الدقائق وتقترب منه السماء حتى تعانق وجهه ..

بعد أن يصلي المغرب يدخل .. يتناول معهم العشاء .. يجوب باحة وممرات البيت ثم يفتح المذياع يسمعه بأذن معرضة ! ..

ودائماً هي الصحراء التي ينهض على ترواميها وبندقيته .. !

صعّد نظراته وقال: هذا العام لم ينزل المطر بغزارة.

صوته مثل صوت ربابة مرهفة الوتر .. كانت ذراعه تأخذ مكانها بارتياح على مسند الأريكة .. كان كأنه يريد أن يقول: " أن أشياء حميمة مبهمة تشدني إلى هذا المقعد وأن شيئا ما يثبني هنا بقوة".

رجلاه تمتدان بارتياح إلى حافة السجادة .. (رجلاه كانتا ترتعشان على السفر خلف الخبز، خلف الحلم، خلف البطولة).

---

* من مجموعة (محادثة برية شمال شرق الوطن)

قال: " لم أكن يا ابنتي أعرف وجع الرجلين .. حتى عرفت جهاز تكييف الهواء".

أصب له الفنجان الثاني. يتناوله بصمت ..

الصمت يتعمق، صورة معينة تتداعى على مخيلتي: (تتدافع رمال الدهناء . يخب جواده بخطوات متلاحقة واسعة منتظمة يعتليه بهيئته المهيبة .. يغالب تلك المجاهل .. رمل النفوذ الشمالي).

فكرت: "ترويض النفس والجسد معاً والصبر .. الصبر والله يجب الأقوياء".

"خمسة وثمانون عاماً عمره .. هذه الساعة .. داخله صفحة وهوامش مهمة .. مطوية لم تقرأ".

تطلع إليّ قال: " كنا نحس بالبطولة تتجدد بنا كل يوم .. فنتخلق من جديد .. لم تكن الآلة هي البطلة كان أحدنا هو البطل".

ثم انتقل إلى الحديث عن الكآبة حين تعتريه يرفضها ثم قال " الدنيا لا تريد الضعفاء".

أنفق السنين يتنقل بروحه المقاتلة .. هذا ما عرفته !

ولما سألته كيف؟ قال: " كل له طريقته في الكفاح".

دلة القهوة الذهبية وشذا البن بالبهار، عم بحثت في البحرين؟ سألت مكترثة ولما أجاب باقتضاب قلت: وبماذا عدت من دارين ؟ وبدا أني بدوت له غير نائية ..

مددت له الفنجان الثالث .. رفع جبينه المتغضن ومدّ يده ...

تذكرت: الطريق الذي سلكه كان متعرجاً متغضناً داكناً استفسارات معينة دارت بخلدي قلت: من قاومت في العراق؟ ومن حاربت في فلسطين؟ وماذا وجدت في الأردن؟ وخشيت أني أرهقته.

والحقيقة أني على يقين فهو لم يتغير، التبدّل الوحيد الذي حدث هو أن جسده ما عاد يسعفه في تطلعاته وبالتالي صرف النظر عنها مثلما نصرف نحن أحياناً نظرنا عما نعجز عن تحقيقه.

تطلع إليّ بنظرة توحي بأنه قرر أن يتحدث قال: القتال يا ابنتي صفه الرجال وقال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلاً فذاً ".

قال: لبنان بلد جميل .. جمال لبنان احترق .. صعّد نظرات واستدرك : لكن جنة الخلد أجمل.

وتساءلت: " هل أساله عن الفارسة الجميلة كيف وفق إليها .. ؟ (أم غيث لازالت تدير أمور البيت بنفسها، هو لن يتذكر تفاصيل الأحداث أولا يريد أن يتذكرها غير أني عزمت على أن أستنطقه ولو بشكل متقطع ومقتضب.

يهمي الغمام بكثافة .. حتى يصيب أطراف قدميه .. هذا المتواجد الآن بهدوء كان مقاتلاً ممتازاً .. من طراز قديم ونزيه .. أتذكر كلامهم عنه: " جرح مرّة وبرغم الدم المتدفق من كتفه ظل صامداً وظلت الأرض الباردة في تلك الليلة الباردة تشرب من دمه الساخن إلى أن وصل المضمّد .. ثم قام .. وحطّ على كتفه طير".

أعاد إليّ الفنجان .. كنت أسجل في ذهني ما يقول .. عند الساعة الخامسة وخمسين دقيقة لملمت نفسي .. شعرت بمحبة حقيقية له .. قلت مودّعة: لقد أطلت عليك أراك في يوم قادم ...

* * *

السائق *

قصة : هناء حجازى

كان في الخارج صوت يعرفه جيدا .. يحفظه .. بل ويكرهه .. السيدة تطلبه مرة أخرى، وأخرى .. متى سقط جسده على السرير؟ .. بعد آخر مشوار؟ آخر الليل؟، في ساعات الفجر الأولى، أم بعد بزوغ النور؟ لا يدري.. يدري فقط أنه يكره هذا العمل، يكره التعب الذي يسكن جسده، يكره جسده، ويكره السيدة، يكرهما.

عاد من مشواره .. قفل الباب .. بكى وهو يتمنى أن لا يفتحه مرة أخرى .. تمنى بقلبه، بدموعه، تمنى أن يموت كي لا يفتحه مرة أخرى .. تمنى بقلبه، بدموعه، تمنى أن يموت كي لا يفتحه مرة أخرى .. يستيقظ على صوت الجرس، مرة، اثنتان، ثلاث .. يعرف أنها ضجرت وهي تنتظر، يعرف أنه سيتعرض لصوتها الحاد، وربما لقليل من الشتائم-فالسيدة مؤدبة-لكنها تحتد بسرعة، تحتد فترسل صوتا غاضبا يخترق أذنه ويظل يتردد صداه في أحلامه ليقوم مفزوعا من كابوس صوت السيدة وهو يخنقه.

ومرة أخرى صوتها .. أو الجرس. الجرس أو صوتها .. أو .. أن يغادر .. يغادر؟ .. حين طرح همومه على رفاقه ضحك بعضهم، وبعضهم أرسل أنة عميقة، وكلهم نضحت وجوههم تعبا وضجرا .. قال له أحدهم أن نهايته الترحيل أو العودة إلى الكفيل وإلى أن يصل إليها سيظل قلقاً، خائفاً، أما إذا رضيت عنه الدنيا-التي لا ترضى غالبا عن أمثاله-فسوف يجد عملا عند أناس آخرين، قد لا تكون السيدة عندهم مهذبة كسيدته الحالية.

استيقظ على صوت الجرس .. قويا، غاضبا .. زاد عناده .. ظلّ الجرس يرن، ظل هو يستمع إليه ترتسم على شفتيه ابتسامة ماكرة، لن يرد .. كان قرارا ملحا، ربما غبيا، لكنه أحس

* من مجموعة (نبت)

أنه لو رد فسوف تخرج روحه مع صوته .. كان الجرس عصبيا، وهو أيضا .. ظل يتقلب على السرير، يسد أذنيه، صدره ثقيل، نظراته زائغة، حلقه جاف، لكنه .. لا يستطيع، لا يستطيع أن يرد .. توقف الجرس أخيرا .. ارتفع نشيجه، حادا، عاليا، بكى .. بكى .. دخل إلى الحمام، غسل جسده بماء بارد، خرج، رد على السيدة، اعتذر بالحمام، حك عينيه الحمراوين، وركب السيارة.

دعاه أحد الرفاق إلى البيت الذي يسكنه، وعده بسهرة جيدة وبعض المسليات، أشياء تسكن روحه قليلا، وتجعله أقدر على احتمال حالة التقشف التي يعيشون .. لكن .. السيدة، ماذا لو رفضت؟ أو احتاجت إليه في مشوار مفاجئ أو غير مفاجئ، سهرة مثلا تعني أن يقضي الليل يراقب النجوم والشارع الخالي من خلال زجاج السيارة، يغضب السيدة؟، أم يلبي الدعوة؟ .. يحتاج هذه السهرة، يحتاجها الليلة .. الآن، حسم قضيته، تأكد أن لا أحد بالخارج .. ذهب.

في الصباح سمع موالا طويلا، طويلا جدا هذه المرة، استغرق الطريق من البيت إلى العمل، ابتسم، سهرة البارحة كانت ممتعة، يستطيع بعدها أن يتحمل صراخ السيدة مدة أطول، أن ينتظرها طوال الليل، أن يجلس في الشمس ساعات طويلة دون أن تشق صدره زفرات الضجر والتعب، يستطيع أن يلبي الدعوة في المرة القادمة دون أن يتردد.

جدة ٢٢ / ١٠ / ١٤١٣

الخروج من تفاصيل التاسعة *

قصة : ليلى الأحيدب

في التاسعة مساء حضروا .. في التاسعة والربع قابلتهم .. في التاسعة والدقيقة السابعة عشرة تحدثوا همساً مع بعضهم .. في التاسعة والثلث حدثوني أنا .. في التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين كان حواري معهم قد انتهى !! .. في التاسعة والنصف ذهبوا .. في التاسعة والدقيقة الواحدة والثلاثين كنت أترقب عودتهم! ..

.....

قلبها ينتفض بشدة .. ويداها ترتجفان وبرودة الجو تجعل من يديها قطعتي ثلج .. الساعة تشير إلى الموعد .. تقترب العقارب من بعضها ويقترب الموعد منها ...

.....

هذا «الروج» يجعل من لونك شاحباً ويزيد من اتساع فمك !! .. تمشط شعرها .. تتأمل منظر شعرة نافرة تضايقها .. تمشطه مرة أخرى، لكن الشعرة اللعينة تزداد نفوراً ووضوحاً .. أووه! .. ترمي بالمشط .. وتلتفت إلى عينيها .. تتناول منديلاً وتمسح بطرفه المبلول بعض الكحل الذي انحدر تحت عينيها بشكل لا يلاحظ !! تتأمل .. "أحمر الخدود" يبدو كثيراً ؟! .. تزيل بعضه بمنديلها .. يتلاشى اللون الأحمر تماماً .. أووه! .. تعود إلى وضع غيره تتأمل خدودها .. تدير وجهها وتتأمل .. الضوء الأصفر يساعد على القراءة لكنه يخفي عيوب المكياج !! تطفئ (اللمبة) الصفراء الكبيرة .. يبدو شكلها شاحباً .. تنتقل إلى غرفة أخرى .. أضواء بيضاء مُشعة تقترب من المرآة .. أووه!!! تصعق!! .. أحمر الخدود كثير والظل متكتل في طرف الجفن فقط

* من مجموعة (البحث عن يوم سابع)

تحاول توزيعه على الجفن بكامله بحيث يبدو شكله طبيعياً !!! إصبعها الملطخ بالظل الأزرق ينزلق إلى وجنتها .. ويبدو خط الظل الأزرق واضحاً في كثافة أحمر الخدود !! تطلق زفرة ضيق وتكاد تبكي !!! ... لماذا يبدو شكلي هكذا مرتبكاً؟! لماذا يبدو كل شئ في وجهي واضحاً وغير طبيعي؟!! تتأمل وجهها .. تبتعد عن المرآة قليلاً تتأمل فستانها .. خطوط هذا الفستان تزيدك امتلاءً وضخامة؟! الخطوط غير العريضة والألوان القاتمة تجعلك أكثر رشاقة !!! تَرتدي فستاناً آخر .. وترتدي معه أسئلة أخرى !!

.....

.....

في الحادية عشرة حاولت أن أنام .. في الحادية عشرة والنصف كنت قد يئست تماماً من ترويض أفكاري .. في الثانية عشرة جلست أمام مرآتي .. في الثانية عشرة والنصف كنت قد خرجت بنتيجة واحدة في شكل وجهي .. في الثانية عشرة والدقيقة الواحدة والثلاثين كنت أتمنى أن يخرجوا (هم) بنفس هذه النتيجة .. في الدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الثانية عشرة كنت أسترجع تفاصيل وجوههم حين دخلت .. حين ابتسمت .. حين تحدثت .. !! في الواحدة تماماً نظرت إلى وجهي مرة أخرى .. ثم نظرت إلى جسمي مرتين ! .. في الواحدة والنصف كانت غرفتي تمتلئ بالصور .. (فساتين السهرة .. ملابس البيت .. قمصان النوم .. وحذاء أبيض تماماً لثوب أبيض تماماً !!!) في الثانية تماماً .. احتضنت وسادتي وحلمت بتفاصيل الصور .. بالمناسبات التي سأحضرها بفساتين السهرة .. بكماليات وأكسسورات الثوب الأبيض !!

في الثانية والنصف كنت أتحسس شعري المتبعثر على وسادتي .. كيف سأسرح شعري ليلة الزفاف؟!! إنه طويل وأسود .. سيتعبني كثيراً !!.. لمَ لا أقصه! .. لكن إذا وافق (هو) على قص شعري .. سأقصه ولن أهتم كثيراً بغضب أمي .. في الثالثة تماماً كنت أستدير إلى جنبي الأيسر وألم بيدي شعري .. كيف سأتصرف معه؟ !! أعرف نفسي جيداً لكني لا أعرف؟ !! من

تحت الغطاء الثقيل تحسست قدمي .. في الثالثة والنصف كنت أفكر بقدمي !!! .. وبإبهام قدمي الكبير بشكل خاص !! .. هذا الإبهام مشاكله كثيرة ولا يستجيب بسهولة لدهونات الجلد !! ثم نهضت لأصلي .. وفي الرابعة خطر لي سؤال عن أشيائي الأنثوية خاصة؟!! كيف سيفهمها هو !!! في الخامسة تماماً داهمني حلم ضبابي جميل وملئ بالأسئلة المبهمة !! .. استغرقت في فقاعات الأحداث الصغيرة .. ثم اخترت فقاعة وردية جميلة واستسلمت للنوم وأنا أحلم .. أحلم .. أحلم بتفاصيل التاسعة !!

.....

في التاسعة تماماً لم يرن الهاتف .. في التاسعة والربع لم يحضر أي أحد !! في التاسعة والدقيقة السابعة عشرة تحدثت أمي بالهمس مع أبي .. في التاسعة وعشرين دقيقة حدثوني أنا عن أشياء سخيفة .. في التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين كان حوارهم معي ينتهي .. ابتساماتهم تنتهي .. في التاسعة والنصف كنت أصعد إلى غرفتي .. في التاسعة والدقيقة الواحدة والثلاثين كنت أراقب وجهي .. وأراقب كيف كانوا يأكلونه !!! في التاسعة والدقيقة التاسعة والثلاثين انكسر وجهي .. انكسرت بتفاصيل جسدي .. في .. المرآة.

١٤٠٦هـ

رهوان وبائع الجرائد *

قصة: حسن النعمي

مر عام، عامان، ثلاثة، ولكن لا خبر. أبي الذي اعتاد أن يوقظني كل صباح، لم يعد يفعل. كان يرى في كل صباح أملاً جديداً في حصوله ابنه البكر على وظيفة. الوظيفة.. الوظيفة، أصبحت مفردة بغيضة إلى نفسي. أحمل شهادة جامعية، ولكن بلا وظيفة. أشعر أنني معاق. نعم، أنا معاق بشهادتي. أنا لست عالماً، ولا أصلح ان أكون باحثاً. ولكن مقصدي أن أعيش، أتكسب بشهادتي.

في هذا اليوم، استيقظت قلقاً، مضجراً، لاحظت أمي هشاشة وجهي. بادرتني قائلة:

-متعب أنت يا رهوان؟!

-كعادتي، يا أمي.

-لا. أنت أكثر تعباً. استرح قليلاً في فراشك.

- سأخرج.

- وأنت هكذا.

- نعم.

وخرجت مندفعاً نحو الشارع، وأمي تشيعني بكثير من الدعاء الذي أحتاجه. أنا قليل البخت، سمعت أبي يقولها ذات مساء لأمي. وقال أيضاً بحرقة بالغة بأنني تعبت ودرست والتالية جالس في البيت. أبي مسكين، وأمي مسكينة، وأنا مسكين. أبي مسكين لأنه اعتقد أن الولد هو

---

* من مجموعة (حدّث كثيب قال)

العزوة وضمان المستقبل. وأمي مسكينة لأنها تريد أن تفرح بولدها الوحيد. وأنا مسكين لأني بلا مستقبل. أختي التي كان يحسبها أبي عبئاً عليه تزوجت. لم تعد أختي عبئاً. أصبحت أنا العبء، الشخص المعاق. فكرت أن أعمل سائقاً، أو محاسباً، أو منظف سيارات. وجدت هذه المهن لا تحتاج إلى مزيد من العمال.

توقفت أمام بائع جرائد. أمسكت جريدة وتصفحتها.

نهرني البائع:

-ممنوع القراءة.

لم ألتفت إليه. قال بصوت حاد هذه المرة:

-قلنا ممنوع.

قلت له:

-بقي صفحة واحدة.

قال وهو يخطف الجريدة مني:

-ادفع ثمنها.

-ليس معي ثمنها.

-لا أصدق!

-هذا شأنك.

-هل تقصد ليس معك الآن؟!

-ليس الآن وليس غداً ولا بعد غدٍ.

-لماذا هذا التشاؤم؟

-ليس لدي عمل.

-ولماذا ليس لديك عمل؟

-لأنني أحمل شهادة في التاريخ!

-ما علاقة الوظيفة بالتاريخ؟

-قالوا ادرس التاريخ لتحصل على عمل مناسب.

درست ولم أحصل على عمل.

-تتكسب بالتاريخ؟!

حاولت أن أصحح مفهومه عن دراسة التاريخ، ولكنه قال مستكشفاً:

-هل تريد عملاً؟

قلت بحرارة استغربها هو:

-نعم!

-تساعدني في بيع الجرائد وأعطيك نسبة؟!

لاحظ انكساري وخيبة أملي، فأردف قائلاً:

-مؤقتاً حتى ...

قاطعته بحدة تعكس ما بداخلي:

-حتى أجد للتاريخ وظيفة تحفظ كرامته.

قبلت هذا العمل رغبة في الخروج من مأزقي ولو بشكل مؤقت. الضجر والملل والانتظار، ثلاثية تقتلني. وأبي وأمي يعيشان مأزقي لحظة بلحظة. أخبرتهم أنني وجدت عملاً مؤقتاً. زغردت أمي ودعا لي أبي بفتور. قرأت في وجهه عدم الرضا. أنا نفسي لست راضياً، قلت له ذلك. أضفت لابد أن اعمل أي شئ حتى تفرج. أنت تعرف يا أبي أنه ليس لدي أي حرفة يدوية. ذهبت لفراشي مبكراً، انتظرت الصباح، انتظرته أكثر من أي صباح أخر. مرت صباحات كثيرة منذ تخرجي وأنا انتظر وهم الوظيفة. ولكن الوظيفة لا تأتي. في مكتب التوظيف، وضعوا إعلاناً لا تخطئه العين (لا توجد وظائف شاغرة لحملة شهادة التاريخ و ... و ... و....).

نعم هذا الصباح صباح آخر. إنني أحب كلمة الصباح، بكل ما تعنيه من تجدد وأمل ينبت مع إطلالة الشمس المتجددة. أشعر أني أركض باتجاه الشمس، أستعجل شروقها. لا أدري إن كنت قد نمت أم لا. نهضت من فراشي رشيقاً، متحمساً، أتقد رغبة في العمل. قبلت رأس أمي وخرجت محمولاً على نهر متدفق من دعائها. توجهت لبائع الجرائد. وفي طريقي عزيت نفسي بأن الحركة فيها بركة. فربما تأتي الوظيفة بعد شهر أو شهرين. كما أنه ليس عيباً أن يعمل الإنسان أي عمل. مادام شريفاً. وفكرت في العائد المادي. ولكنه لم يكن هاجسي. فأنا أعرف أنه سيكون قليلاً. إنني أريد أن أعمل وكفى، وإذا لم أعمل فسوف أجن، سوف ..! لا داعي للثرثرة. وبخت نفسي، ومضيت أحث الخطى نحو بائع الجرائد. فكرت في مهنته. إنها ليست سيئة، فقط رزقها محدود. يجب أن يكون كذلك، فهو لا يحمل شهادة عالية. ولكنني أحمل شهادة عالية وليس عندي مهنته. بل إنني أسعى إليه. أحسست بحرقة دفينة في صدري. تساءلت هل يمكن أن أعيش بلا وظيفة ! زاد غيظي. وفي كل مرة يجهدني التفكير كنت أهرش رأسي، حتى سقط ذات مرة عقالي. رأيته يتدحرج بين السيارات. ركضت بين السيارات جرياً وراء عقالي دون أن أشعر. تقافزت أبواق حادة من كل الاتجاهات. جفلت من حدتها. أكلمت طريقي حتى وصلت للشارع الذي يقبع فيه بائع الجرائد. لم أجد البائع في مكانه المعتاد. ذرعت الشارع طولاً وعرضاً. لم أعثر عليه. ما الذي حدث؟! اقتربت من صاحب بقالة وسألته عن بائع الجرائد. أخبرني بأنه قد انتقل إلى الشارع الخلفي. جريت إليه. كانت الشمس قد بدأت تصب غضبها الصيفي أحسست بالعطش. شربت من ماء سبيل في طرف الشارع . بعدها حدقت في كل زوايا الشارع . لم أر أثراً لبائع جرائد. واصلت بحثي عنه في الشوارع المجاورة. سألت المارة إن كانوا قد رأوه. لا أحد يهمه إن كان هناك بائع جرائد في الشارع أم لا. إنها مسألة تخصني وحدي، كان يجب أن أعلم ذلك. وسعت دائرة البحث. وكان كل شارع يفضي إلى شارع آخر. وكل شارع يفضي إلى فراغ آخر. رأيت الشوارع شكلاً واحداً. الأرصفة ذاتها والبنايات تتكرر. حتى

المارة هم المارة أنفسهم في كل الشوارع. الشمس تبوأت قلب السماء. راحت ترسل جبروتها فوق المارة. خلت الشوارع تقريباً إلا مني. تصببت عرقاً وتملكني الإعياء حتى فقدت التركيز. استندت على سور مبنى قديم. رفعت بصري بتثاقل. رأيت بائع الجرائد يقطع الشارع من الجهة الأخرى. قفز قلبي فرحاً. جريت لا ألوي على شئ. وصلت لاهث الأنفاس. لا أصدق. لم أجد البائع ولا جرائده. ترى من الذي رأيت! جرجرت قدميّ حتى وجدتني أعود إلى أول شارع شاهدت فيه بائع الجرائد بالأمس.

١٩٩٧م

ما جاء في خبر سالم *

قصة : محمد على قدس

استهلالة..

خيوله صاهلة ! يترنح على سيف الظهيرة . تلفح وجهه الحنطى سهام شمس خارقة . ينعكس على جبتهته المعروفة بريق لامع . عجينة طينية، كان مزيجها الغبرة والعرق، تصيغ بشرته.

في داخله صوت يعوى ! يتردد صداه في أعماقه. أطرافه مرتعشة وشفتاه . سلك يده في جيبه، أخرج منديلاً مغموساً في الطين والعرق. مسح به وجهه، بدا متعباً، بل مشنوقاً بالتعب. رفع رأسه في ضيق.. وشق ببصره كبد السماء.

سقط الضوء في عينه !!

التمع كوميض باهر.. تتكاثف الصور.. اللحظات تلوى عنقه، بوده لو يحتوى الضوء بقبضته. تنداح الصور المعتمة في ذاكرته. صوت متشنج يملأ حواسه. ذلك انبهار الضوئي يستحيل إلى صدى يفجر في نفسه الضيق والوحشة.

(١)

ابتسم !

قالها ودس رأسه في غلالة سواء. انفجر ضاحكاً. قهقه حتى اغرورقت عيناه . لم يعد يدري أهي دموع حقيقية تكشف عن ألمه الدفين الذي يسكن نفسه ويصيبه بتشاؤم غريب. أو أنها دموع كاذبة.. يتلهى بها ليوارى سوءة أحزانه. أم أنه يسخر من تأزمه وانتكاسه.

---

* من مجموعة (ما جاء في خبر سالم)

أخرج الرجل رأسه من وراء الغلالة.. صك أسنانه في غيظ. راح يتأمله انتظر حتى يفرغ من ضحكاته الهستيرية. ابتسم في بلاهة وهو يكظم غيظه. (قلت ابتسم يا هذا ! ابتسم، ولم أقل فجر في وجهي قهقهاتك المجنونة).

أصلح وضع عقاله. رتب شماغه الأحمر، وقد بدا باهت اللون مجعدا كشعره الأكرت. (أريدها جانبية لو سمحت. ملامح وجهي تبدو مقبولة بعض الشئ - أعلم أنه ليس في وجهي أي شئ من الوسامة- إلا أن وجهي في هذا الوضع أحسن، ما حيلتي فليس في وسعي أن اتخلى عن هذا الوجه ولا أمل في أن يتخلى هو عني) .. وأرسل ضحكة مصطنعة.

(لك ما شئت. أنت حر في اختيار الوضع الذي يناسب ملامحك. وأن كنت من خلال زاويتي أفضل الوضع الآخر.إلا أن كل واحد منا يعرف هوية وجهة أكثر من غيره).

فغر فاه ! وأد كلماته في حلقه. في اللحظة التي انطلق فيها ضوء ساطع بهر عينه. بوده لو يمسك الضوء بقبضته. يرحل في وهج العتمة. تستفيق في داخله احتدامات صراع قديم- كم غاصوا في أعماقك .. تغلغلوا في قاع نفسك. انتزعوا منك أسرارك البالغة الخصوصية. أرادوا أن يغرغوا ما في عقلك وقلبك من حروف وكلمات احتبست في داخلك. لم يفرغوا من فمك سوى صرخاتك اليائسة وأناتك التي كان يبتلعها الليل والصدى-!!

(٢)

.. شقاء الدنيا يرتسم في ملامح رجل أسمر يدعى (سالم الرجبي) .. ألا قبح من اسم وقبح حامله ! (لتني ما كنت سالماً، وأنا بالفعل لست سالماً).

(يبدو وجهك كئيبا هذا الصباح)

(هكذا هي وجوه الأشقياء)

(إذن أنت تعترف بشقائك ؟)

(ولست كسائر أشقياء الأرض !).

(ولم !!؟)

(لأنني مسكون بالوحدة والقهر).

(وأنا معك؟)

(وهذا ما يزيدني حزنا وشقاءً، لأنني أبحث عن هوية أخرى.. أبحث عن نفسي الضائعة .. التائهة في خضم هذا التيار العنيف.. واخشى أن تصيبك عدوى الشقاء بقربي !!)

تلويحة المبتدأ ..

الضوء .. ساطع وهاج..

.. يسقط في بوء بوء عينيه حمما وصديدا. يرحل في تكاثف العتمة، استحالت الرؤى إلى دوائر هلامية تسبح في ضباب معتم. انقطع سيل الضوء فجأة .. علا صوت السؤال صارخاً:

(أهذه صورتك آآ ؟) (وهذا هو اسمك ... سالم الرجبي ؟)

كانت شفاهه تتحرك دون كلام . هز رأسه بالإيجاب. لم يعر الأمر أي اهتمام.

الموقف يأخذ حجماً لم يقدره للحظته. (هل هذه المرة الأولى التي تزور فيها هذه المدينة ؟)

حاول أن يتحاشى جهر الضوء بيديه .. (نعم .... نعم ... نعم).

(هل أنت عربي !؟)

(هذا ما تشير إليه هويتي .. والصورة المثبتة على الهوية)

صرخ المحقق في حدة وهو يصوب مصباح الضوء في وجهه: (أجب على قدر السؤال .. أنت قذر !!) تصبب عرقاً .. انتفض والخوف يملأ نفسه .. عيناه تبليصان.. تلوجان في سحب هلامية معتمة ! حزم الضوء تسقط صهداً على وجهه.

(سالم الرجبي .. لم يبق منك يا سالم .. سوى أنك غير سالم .. ستخرج من هذه المدينة أعمى .. تفقد تمييز الألوان .. والأحجام.. وربما تضيع منك الذاكرة !!).

(٣)

حرك بيده مصباح الضوء .. دس رأسه وراء الغلالة السوداء. كان يهذى بكلام غير مفهوم... الضوء يجهر عينية .. العرق يتصبب منه بغزارة. تناول منديلاً من الورق جفف به عرقه.. تناثرت ندف منه على جبهته وعنقه. مبتسماً لازال فمه. الحزن مدينة يسكن فيها قلبه.. ورعشاته!!. صهلت خيوله ارتعد لصهيلها.. واستسلم في صمت كطفل ساذج..

(تغيرت ملامحك .. مسكون أنت بالرعشة والخوف ! صرت كالابهق الذي يتحاشى ضوء الشمس !!! في وجهك أخاديد يتكاثر. في داخلها شعر مدبب الرؤوس .. كأن هرموناتك الموجبة في ازدياد. شقاؤك يتكاثف بالضوء .. حزنك يتفاقم .. يتوالد مع صهيل خيولك .. مع الصهد الذي يذوب فيه كل قدراتك و.. و..يضيع !

.. دس الرجل رأسه في الغلالة السوداء .. وقد اسردت الدنيا في عينيه !! جاء صوته مكتوماً. وأهنا: (بلل شفتيك !!).

لم يتمالك نفسه .. انفجر ضاحكا .. مال إلى الخلف .. سقط عقاله وشماغه ! اخرج الرجل رأسه .. كاظماً غيظه .. تأمل المنظر وابتلع ريقه قهراً. مسد جبهته براحة كفه وهو يلتقط زفرات أنفاسه. لا شك أن الذي أمامه إنسان مجنون.. أو معتوه ! لا زال يمارس قهقهاته الهستيرية بمزاج !

ضوء يسطع .. وسيل من الكلمات يصب فوق رأسه. سؤال يتبعه سؤال (أنت عربي ..؟ نحن لنا معرفة بكل ما يجري في بلادنا بسبب سلوككم)..

الضوء باهر تتضح من خلاله ملامحه وانفعالاته. يلفح وجهه الحنطي صهد تصهل فيه خيله. ذلك الانبهار الضوء يستحيل إلى وهج تستوحشه نفسه. يصبح رعشة تسرى في سائر جسده. نافورة دم تتفجر من فوهة جرح نازف..!

.. متى يلتئم الجرح .. وينتهى سيل الأسئلة ! ؟

ما جاء في خبر سالم

رجل تغلغل في صهد الضوء .. غرق في أحزانه. وقد جمدت عروقه- أغرقوه بأسئلة استنزفوا بها داخله اخضعوه لتجربة فقد فيها أشياء كثيرة - جرحة تخثر، النزف في الداخل .. يسكن جسده شيطان يقهقه تارة، ويولول تارة أخرى..

انتهى سيل الأسئلة..

(أنت عربى ... !؟)

.. لا نبض فيه .. وقد نضبت في داخله الأجوية.

خرج سالم من مأساة إلى مأساة. يتجرع ألمه وحزنه. جرحه ينقض لصرخة السؤال: أيموت في جهر الضوء .. ؟ ذلك السراب الذي تصهل فيه خيوله.